عبد اللطيف مشتهرى

الواعظ العام بالأزهر

يقـــدم

الرسالة الرابعة



« ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ،
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ »
(قرآن كريم)

الطبعة الثانيـــة

مزيدة ومنقحة

مطابع دار الكتاب العربى بمصر

محمد حلمى المنياوى

عبد اللطيف مشتهرى
الواعظ العام بالأزهر

يقـــدم

الرسالة الرابعة



الإيمان والمؤمنون

« ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ،
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ »
(قرآن كريم)

الطبعة الثانيـــة
مزيدة ومنقحة

مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى

تقرأ فى هذا الكتاب

١ — كلمات خالدات فى الإيمان — للقرآن والإنجيل والسيدنا محمد وزعماء العصر الحديث والقديم .

٢ — التعريف بالإيمان كهاد إلى حياة كريمة . بم نعرف الله ؟ .

٣ — ربنا الله رغم أنف الملحدين — الرد على الوجوديين ، والملحدين .

٤ — الإيمان ، والمؤمنون ، فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

٥ — رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات ، أمثلة للبطولة الفذة والخلق النبيل .

٦ — زاد الأرواح والعقول ، من الحكم والعبر .

٧ — سحب من الغرب ، فاحذروا صواعقها ، الدين خير علاج لمشاكل الفرد والمجتمع .

٨ — هذا بلاغ للأمم الإسلامية ولينذروا به .

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الحمد ؛ وعلى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه

دعاء

(اللهم حَبِّب إلينا الإيمانَ ، وزيِّنْه فى قلوبِنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوقَ والعصيانَ ، واجعلنا من الراشدين) .

* * *

(اللهم أدِمْ للقلوب إيمانَها ، ليدومَ لها أمنُها وهُدَاها ، يا مَنْ قلتَ : « ومَن يُؤمِنْ بالله يَهْدِ قلبَه ») .

* * *

(ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعْدَ إذْ هدَيتَنا ، وهَبْ لنا من لدُنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب) آمين .

* * *

إهداء

إلى القلوب المطمئنة بذكر الله ، تأييداً وتثبيتاً . وإلى النفوس الشاردة عن الله ، نداء وتوجيها . وإلى البشرية جمعاء ، صرخة مدوية ، هلموا إلى رياض الإيمان ، وعودوا إلى هداية الرحمن (يُصلِحْ لكم أعمالكم ، ويغفرْ لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيما) .

لقد بان الصبح لكل ذى عينين ، ورأينا الناس ، أفراداً وجماعات ، وشعوباً ودولا ، كلما نأى بهم الشيطان عن سبيل الله والإيمان بالروحيات ، صارت حياتهم جحيما ، وعيشهم عذاباً أليما . ذلك لأن إنكار الله ، هو نفسه إنكار للمثل العليا ، والخلق النبيل ، الذى بنى الله سعادة البشر على التحلى به ، فمن فقد العقيدة الصحيحة فى الله ، فقد انفرط أمره ، وانحل عقده ، وتفككت روابط نفسه ، فصار يقول ويعمل ، بلا رقيب يخشاه ، ولا ضمير يحاسبه إذا أعوج ، ومن هنا تبرز أقواله وأعماله وسائر تصرفاته ، وعليها طابع الأثرة والأنانية ، فتنعدم الثقة بين الناس ، ويحل التدابر محل التراحم ، والفردية مكان التعاون ، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى ، وحوشا ضارية ، وما كان أغناهم عن هذا الانتكاس ، لو وصلوا حبلهم بحبل الله ، وأشعلوا مصابيح نفوسهم بنور السماء ، فلهذا الهدف السامى خلق الله البشر وكرمهم وأعلى اعتبارهم ، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا .

إن فى الإيمان بالله لترطيباً لجفاف المادة الطاغية ، وحدًّا من غُلَواء الجشع والجزع ، وغرساً لخلال البر والمرحمة ، وهو وفاء لمن أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، بدأ خلق الإنسان من طين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وأمده من حرمان ، وهداه من ضلالة ، فهداه النجدين ، وأمره أن يعمل للدارين ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، ومهما ارتقى الإنسان فى الأسباب ، وملك ناصية البر والبحر والجو ، فإن ما عَلِمَه لمـا يجهله كحبة رمل فى فلاة ، وهو لا محالة واقف عند حده ، عاجز عن تحقيق كل أمانيه ، معترف (أبى أم شاء) بأن من فوقه قوة قاهرة ، وقدرة غالبة ، لا يملك معها إلا التذلل بين يديها والخضوع لعظمتها ، أقر بذلك جنانه ، وإن أنـكره لسانه ، لأنه (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم . صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ؟ ونحن له عابدون) .

وقد قمت بوضع هذه الرسالة ، فى هذه الآونة ، قياماً بواجب التبليغ لدعوة الله ، ونفياً للأباطيل عن دين الله ، بعد أن سمعت ورأيت ما حدث من بعض طلاب العلم الجامعيين ، من تنصلهم من الإيمان بالله ، وتبرؤهم من الاعتراف بالدين جريا وراء دعاية كاذبة ، أو تقليداً لمن لعنه الله وغضب عليه هنا أو هناك ، من الوجوديين والملحدين ، ونحن (ولا سيما الآن) أحوج ما نـكون إلى استدرار رحمات الله ونصره ، والتحلى بفضائل الإيمان وأهدابه النقية ، لتـكمل أهدافنا على خير ما نرجوه لديننا ووطننا ، ويؤيدنا

الله بروح من عنده ، ويهدينا صراطاً مستقيماً مع منحنا الله من زعامة روحية ، وثورة فتية ، قامتا على الإيمان والإخلاص .

وقد جعلت هذه الرسالة على ضربين ، الأول : فى الإيمان بالله من حيث إنه ضرورى لسعادة البشر ، وفطرى فى قلوبهم ، ودفع الشبه والزيغ عن حماه ، وأن العلم وحده بدون إيمان قد يكون نكبة على البشرية ، وبيان أثر الدين فى المجتمع ، وذكر طائفة من آراء زعماء العالم فى القديم والحديث فى ضرورة الإيمان . والثانى منهما ، فى عرض صور حية ، ونماذج طيبة هى (رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات) لنشاهد أثر الإيمان فيهم بارزاً كدليل عملى على أن من يؤمن بالله ويعمل صالحاً (فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها) ثم حليت الرسالة بمسك الختام ، من حكم وعبر ، تنفع زاداً المؤمن فى دنياه وأخراه ، وتصلح قانونا يصل به إلى دار السلام .

والله أسأل أن يزيد بهذه الرسالة الذين اهتدوا هدى وأن يتوب على أهل الزيغ ويهديهم صراطاً مستقيما آمين .

عبد اللطيف مشتهرى
الواعظ العام بالأزهر

كلمات خالدات فى الإيمان

١ ــ **« انا لننصر رسلنا ، والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد » .** « ٤٠ ــ ٥٠ ــ قرآن كريم »

٢ ــ « الحق أقول لكم ، ان كان لكم ايمان ولا تشكون ، ثم قلتم للجبل انتقل . . . فيكون ، وكل ماتطلبونه مؤمنين ، تنالونه » .
« المسيح ــ متى ــ ٢١ ــ ٢٢ »

٣ ــ **« أتصبرون عند البلاء ؟ قالوا نعم،قال : أتشكرون عند الرخاء ؟ قالوا نعم ، قال : أتثبتون عند الحرب واللقاء ؟ قالوا نعم قال : مؤمنون ، ورب الكعبة » .** « محمد رسول الله »

٤ ــ « لقد كنا أذلاء فى الجاهلية ، فأعزنا الله بالايمان به ، فمهما طلبنا العز من غيره أذلنا الله » . « عمر بن الخطاب »

٥ ــ **« بغير الايمان بالله ، والعودة اليه ، لا تستطيع أن تحيا حكومة أو شعب » .** « الرئيس : ايزنهاور »

٦ ــ « لا نستطيع أن ننتصر فى معركة ، الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شىء » . « مارشال : مونتجمرى »

٧ ــ **« اننى أدعوكم قبل كل شىء الى نهوض أخلاقى » .**
« بيتان : عاهل فرنسا »

٨ ــ « الحقائق الدينية لاتظهر لنا باطلة ، الا لضعف معارفنا » .
« باكون » الطبيعى

٩ ــ **« أدعوكم الى الأخلاق ، أرجو أن تكونوا بزرة أقوياء ، سيروا على طريق الفضيلة دائما ، كونوا مؤمنين حقا ، وثقوا بالنصر ، أوصيكم بالا تتركوا صلاتكم أبدا ، أقول لكم ما قال عمر ابن الخطاب لجيشه«ان ترككم لصلاتكم أخطر عليكم من عدوكم » فاتقوا الله ، حتى نكون خير أمة أخرجت للناس،وحتى ينصركم وينصر وطنكم دائما ، فقد كان حقا على الله نصر المؤمنين » .**
البكباشى أركان الحرب « حسين الشافعى »
فى شباب الحرس الوطنى

الإيمـــان

« فَانْتَقَمْنَا مِنَ الذين أَجْرَمُوا

وَكَانَ حَقًّا علينا نصرُ المؤمنين »

« قرآن كريم »

التعريف بالإيمان

كهاد إلى حياة كريمة

الإيمان بالله هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالة ، ومنار السالكين الحائرين ، هو أمل اليائسين ، ومجير المستجيرين ، وأمان الخائفين ، هو ناصر المجاهدين ، ومبشر المنفقين ، ومواسى المصابين ، ومعزى المحرومين ، وعوض الفاقدين ، ولولاه لكانت الحياة عيشاً مملولاً ، وأملا مفقوداً ، ولتلاشت المثل العليا أمام تيارات المادة الجارفة ، والشر المستطير .

الإيمان كما قال بعض العلماء « مفتاح أسرار الكائنات ، ومصباح الهدى ، يضيء للسارى ما أظلم من مفاوز الحياة ، وهو المعين الفياض الذى تستمدُّ منه سائر الإرادات القوية سر قوتها ، لأنه الأصل الأصيل والدعامة المثلى لكريم الخلال ، من صبر وعزيمة وإقدام وإثبات ، وهو أب الأمل وأخ الشجاعة وقرين الرجاء ، وهو روح القدس الذى يتنزل على قلوب الرسل والأنبياء ، ومُلهم الحكمة العالية لنفوس الحكماء والعظماء ، وهو نغمة الحب الإلهى ، بل هو الحب نفسه من جهة مثله الأعلى ومعناه الشريف ، الذى تفهمه النفوس العظيمة ، وتلهمة الوجدانات المبصرة ، وهو تلك القوة العلوية القاهرة التى ساقت نوابغ القواد إلى ميادين النصر ، فأنموها شجاعة ، ودعت من قمة مجدها أهل الوطنية إلى الصبر والجهاد فى سبيل الواجب ، فتأكدوا أنها التضحية ، وتنزلت إلى أفئدة المخترعين

والمكتشفين فقالوا إنها شرف العلم ، وظهرت لعشاق الأخلاق الكريمة فآثروا العفة والفضل ، والإيمان ، فى أبسط معانيه هو الثقة بالنفس ، والمجد للأمة ، وروح القومية للشعوب ، التى تعرف معنى الحياة الصحيحة ، وهو قوة الإنسان المعنوية ، وإن رجلا بلا إيمان رجل ضائع ، والأمة التى لا يتمثل الإيمان فى قلوب أبنائها أمة ضعيفة بل ميتة ، وناهيك بأمة فاقدة لحياتها المعنوية ، وإذا غرست شجرة الإيمان فى قلب وسقيت بماء اليقين أثمرت الإخلاص ، والإخلاص هو القوة الهائلة ، التى تهزم الجحافل وتزيل الحواجز ، من وجه المؤمن الصادق المخلص لله — ألم تر إلى ذلك النفر القليل ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما تشبعت بنور الإيمان قلوبهم ، وامتزجت ثمرته بنواياهم وسرائرهم ، قاموا بمقتضى ذلك لنصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، قومة صادقة ، زلزلت قلوب الأعداء ، وهوت بعروشهم ، وفلت الجيوش المتداعية عليهم يومئذ تداعى الجراد المنتشر وهم قليلون ، فانتصروا بإذن الله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فكان الإيمان الخالص هو سبب ترابطهم ، وسر قوتهم ، قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وصدق الله العظيم (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

وإلا فحدثنى بربك ، ما الذى جعل القلة المجردة من العتاد فى بدر تهزم عشرات المئات ، من جحافل الكفر والجبروت ، ألا أنها آية الإيمان ،

والاتصال بعدد السماء (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) :

ما الذى حمل هذه البنت المؤمنة على أن تعصى أمر أمها لها بأن تخلط الماء باللبن ، قائلة : يا أماه ، أليس قد أخبر عمر أن الله ينهى عن غش الناس فتقول أمها ، وأين نحن من عمر ؟ إنه الآن فى بيته نائم ، فتقول البنت : يا أماه إن كان عمر قد نام ، فإن رب عمر لم ولن ينام ؟ ؟

ما الذى أعلى من روح هذا الفتى المسلم فجعله حين يتلقى طعنات الرماح والسيوف فتخترط رأسه ينادى مغتبطا (فزت ورب الكعبة) ويعجب قاتله أن سمع هذا منه ، فيسأل فيقولون له ، هذا هو الإيمان والإسلام ، يخبرهم ، وهو صادق أنهم فى الجهاد بين إحدى الحسنيين ، فإما نصر وغنيمة ، وإما عز واستشهاد ، وهم إلى الأخرى أحن من الأولى ، فيقول القاتل ، واعجبا ، إن دينا يجعل أهله كذلك حتى يلقوا الموت باسمين مغتبطين ، انه لحقيق أن يتبع .

الله أكبر ، إن القاسم المشترك الأعظم فى هذه الحوادث كلها هو الإيمان ، والثقة فى موعود الله الذى ادخره لعباده المؤمنين ، هذا هو العنصر الذى جعل العذاب لديهم عذبا ، وحول الآلام إلى آمال ، وأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر ، وهداهم سواء السبيل إن الله عز وجل ، جعل الإيمان به دليلا موصلا إلى الغايات السامية ، لأنه سبحانه حق وما وصى عباده

إلا بالحق ، (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) فكل باطل أو لغو يقع فيه المرء ، فإنما هو لتنحيه عن أشعة الإيمان ، وبعده عن حرارته وضيائه ، قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بإيمانهم) وما أروعه من جزاء كريم للمؤمنين (يهديهم ربهم بإيمانهم) فإيمانهم كشف الغشاوة عن صدورهم ، وأراهم مسالك الهداية ، يخلصون بها إلى عز الدنيا ونعيم الآخرة .

فقل لأولئك المتمردين على الله ، الجافين لدينه ، المجاهرين هم وأساتذتهم بالكفر والعصيان ، هل تظنون أنه يوم أن تبلغوا غرضكم في محو الإيمان من النفوس ، وتشكيك الناس في أمر دينهم ، قد سنحت لكم الفرصة وخلا لكم الجو ، لتجنوا ثمرة إلحادكم وردا ورياحين ؟ كلا والذي طمس بصائركم ، إنكم يومها لن تصادفوا إلا إنسانية عتت عن أمر ربها ورسله ، ونسيت ما ذكرت به حتى ردت إلى أسفل سافلين ، فصارت مجاهاوات ترتع لا هم لها إلا التهام ما تستطيع التهامه ، وربما كنتم أنتم أول الضحايا لها .

إن المادة دائماً عمياء لا تسمع ولا تعقل ، ولن يحفظ توازنها وتداولها بين العباد بالقسطاس المستقيم إلا الاعتصام بدين الله (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .

الفطر السليمة تعرف

(الله ، والإيمان ، والدين)

« الله »

«أيها الباحث عن حقيقة وجود الله ، بغية عرفانه ، وعن الدين والمعتقد والعالم الآخر ، وعن صلاحية ما أنزل الله من كتب ، وشرع من شرائع الهداية . وأنت أيها الحائر المتردد ، أيتبع هذا الدين أم ذاك أم يترك الأديان كلها ظهريا ويعيش دون أن يتقيد بديانة من الديانات ؟ .

إصغ إلى وتنبه لما سألقيه عليك ، وكن متحررا من كل تقليد سابق لهذه اللحظة ، وإني بعد ذلك سائلك : هل ضاقت بك نفسك يوما ، وضاقت عليك الأرض بما رحبت ، الأمر الذى يحدث لكل إنسان فى كل وقت ، فتمنيت الخروج من هذه الحياة على أثر أزمة نفسية أو ضائقة مالية أو حادث عائلى ، أو كارثة من الكوارث العامة أو مصيبة حلت بحبيب لك ؟ إذا كان هذا قد رأيته أو حصل لك حتى ضاقت فى وجهك فجاج الأرض ورحابها وأظلم فى نظرك جوها ، فماذا صنعت حين ذاك ؟ ألم تكن تشعر فى تلك اللحظات العصيبة بضعف كيانك وضآلة وجودك ومحدودية قوتك ؟

ثم ألم تشعر مع هذا الشعور بأن فى الوجود قوة مطلقة محيطة بكل شيء أوقفك تدبيرها ونفاذ إرادتها لتتميم أغراضها موقفك الذى نتحدث عنه ؟ وألا تشعر فى مثل تلك اللحظات بصوت الاستغاثة ينبع من صميمك ،

وهتاف الاستنجاد ينساب من فؤادك كبريق النور ، مستمدا العون ومستنجدا بتلك القدرة الفائقة المسيطرة على كل شىء فى الوجود ؟ ثم هل رجعت يوما إلى نفسك فشعرت بنقص فى كيانك ، وقصور فى بشريتك ، فرأيت عقب ذلك أنه قد انتشر فى زوايا قلبك سلام العقيدة ، ونور الإيمان وسكينة الخشية ، لقوة روحية مطلقة تحيط بوجودك ، وتشمل سائر كيانك الداخلى والخارجى ؟ إن كان مثل ذلك قد حدث لك يوما (وهو حال طبيعى يحدث لكل امرىء حى ذى شعور ووجدان) فما هى تلك القدرة العالية والقوة المطلقة ، التى تُلقى فى رُوعِك عند ذكرها إذا استنجدت بها بريق الرهبة ونور الأمل ، عقب الزلل ، أو فى حال الندم ، أو فترة الضعف ؟ ومن ذا الذى أمدك بهذا الشعور الرفيع ، الذى يعتبر غريبا عن موجبات غريزتك البشرية ، وشؤنها الأرضية ؟

وما هى تلك الروح التى تمد نفسك بالأمل ، وتفعمها بالسرور والراحة والطمأنينة عند العمل الصالح أو الفكرة الخيرة ، والتى تشعر فى صميمك بالحاجة إليها دائماً ؟ وبعبارة أخرى من هى تلك الذات الرفيعة الحكيمة العليمة المحيطة بما يتخلل السموات والأرض من أحداث وأسباب وعلائق ولا يشذ عن علمها شىء فى السموات أو الأرض والتى كان منها البدء وإليها المصير ؟ أتدرى من هى ؟ (الله) قال تعالى (ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) .

الإيمان والدين

ثم هل حدث لك أن انتزَعْتَ يَدكَ من يدِ الشيطان وخلَّصْتَ قلبك من العلائق الدنيئة للحياة الطينية الخسيسة ، استعدادا للتعرف إلى مبدعك وخالقك ؟ إن كان مثل هذا قد حدث لك فاعلم أن ذلك هو (الإيمان) ثم هل شعرت مرة بدافع يدفعك إلى الركوع بين يدى الله ، وأنت فى حالة خشوع واستعداد للتقرب إليه والإقبال عليه والإحسان إلى سائر خليقته ؟ إن كان مثل ذلك قد وقع فاعلم أن ذلك هو (الدين) .

وهذه الأمور كلها قد تنزع إليها نفس الإنسان وهو عنها غافل وتصبو إليها روحه وإن غالطها ، وكل من تنبه إلى اللحظات الدقيقة من حياته والسوانح الخاطرة لفؤاده ، فهو مدرك بلا ريب صحة ما نقول ، فثق أيها الأخ الكريم أن معرفة الله لا تكون إلا من قلبك (وبقلبك فقط) مستهديا بنور بصيرتك ، فإنك أقرب إلى الله من كل شىء عداك ، ولن تجد الله قط فى زوايا البراهين العقلية والنظريات الفلسفية ، ولا فى بطون الكتب والمجلدات ، التى لا تهذب نفسا ، ولا تنير قلبا ، ولا تورث إيمانا والتى قد تدل على الله ولكن لا توصل إليه — سيما إذا أجدبت من نور اليقين والحكمة ، وإنما معرفة الله عن طريق محبته والإذعان له والإقرار به أولا ، حيث إنك وما اشتملت عليه من عقل وفكر وإقبال وإدبار ومحيا وممات ، مظهر من مظاهر وجوده ، وآية بينة على كمال جلاله » .

(من كلام أبى الفيض)

بم نعرف الله ؟

فطرة القلوب :

١ — جعفر الصادق : رضى الله عنه ، جادله بعض الزنادقة فى وجود الله ، فقال جعفر : هل ركبت البحر ؟ قال نعم ، قال هل رأيت أهواله ؟ قال بلى . هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ، ثم ذهب عنى ذلك اللوح ، فإذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل . فقال جعفر ، قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ، ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة : قال جعفر ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل . فقال جعفر : إن الله هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وقد أقر به قلبك عند الشدة ، وإن أنكره لسانك عند النجاة ، وهو الذى أنجاك من الغرق ، قال تعالى : « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا » فأسلم الزنديق وحسن إيمانه بالله .

٢ — أرباب ضعفاء وواحد قهار :

سأل النبى صلى الله عليه وسلم عمران بن حصين قبل إسلامه : كم لك من إله ؟ قال : عشرة . قال : فمن لغمك وكربك ورفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جملتهم ؟ قال : الله : فقال عليه الصلاة السلام : مالك من إله

غيره . قال تعالى : « قل من يرزقـكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلـكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » .

٣ — هل تتصور صنعة بلا صانع ؟

كان أبو حنيفة رضى الله عنه سيفا مصلتا على طائفة الدهرية (الذين لا يعترفون بألوهية وينسبون الموت إلى الشيخوخة واستهلاك خلايا الجسم) وكانوا يتحينون الفرص ليفتكوا به . ويستريحوا منه ، وفى ذات يوم هجموا عليه فى المسجد على حين غفلة منه ، فقال لهم فى ثبات وإيمان : أجيبونى عن مسألة ، ثم افعلوا بى ما شئتم ، فقالوا : سل ، فقال : ما تقولون فى رجل يقول لـكم ، إنى رأيت سفينة مشحونة بأحمال ، مملوءة بأثقال ، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا هذا شىء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله : إذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر . فـكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ، وتغير أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ ؟ فبهتوا جميعا وقالوا : صدقت ، ثم أسلموا وانصرفوا تائبين .

وفى مثل هذا يقول الدكتور دراز « قدِّر فى ذهنك بيتاً منسق البنيان فاخر الأثاث والرياش ، قائما على جبل مرتفع ، تـكتنفه غابة كثيفة . . ،

وقدر أن رجلا جاء إلى هذا البيت ، فلم يجد فيه ولا حوله ديّارا ولا نافخ نار ... فحدثته نفسه بأنه عسى أن تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها ، ثم تجمع ما تناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع ، بما فيه من مخادع ومقاصير ، وأبهاء ومرافق وأن تكون أشجار الغابة قد تشققت بنفسها ألواحاً ، وتركبت أبوابا وسورا ، ومقاعد ومناضد ، ثم أخذ كل منها مكانه فيه ، وأن تكون خيوط النبات وأصواف الحيوان وأوباره ، قد تحولت بنفسها أنسجة موشاة ، ثم تقطعت طنافس ووثائر وزرابى ، فانبثت فى حجراته ، واستقرت على أرائكه ، وأن المصابيح جعلت تهوى إليه بنفسها من كل مكان ، فنشبت فى سقفه زرافات ووحدانا . ألست تحكم بأن هذا حلم نائم ، أو حديث خرافة ، قد أصيب صاحبه باختلاط فى عقله ؟ فما ظنك بقصر . . . السماء سقفه ، والأرض قراره ، والجبال أعمدته ، والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحه ، أيكون فى حكم العقل أهون شيئا من ذلك البيت الصغير ، أو لا يكون أحق بلفت النظر إلى بارىء مصور ، حى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وصدق الله القائل : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ؟ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

٥ — ورقة التوت ، وبيضة الدجاجة :

سئل الشافعى ، ما دليلك على وجود الصانع ؟ فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد ، ولكن : تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم ، والنحل فيخرج منها العسل ، والشاة فتربى اللحم وتخرج

اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى نوافجها المسك ، فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الإفرازات ، والغذاء واحد ؟ إنه الله سبحانه .
وشبه الإمام أحمد بن حنبل كيفية الخلق ، بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الابريز ، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير : قال : أفيحدث هذا من ذاك بلا صانع ؟ وعَنَى بالقلعة البيضة ، وبالحيوان الفرخ ، وبالفضة البياض ، وبالذهب الصفار ، وكيف خلق منهما حيوان يسمع ويبصر ويغدو ويروح . وليس هذا بأعجب من خلق ابن آدم من تراب ثم من ماء مهين فإذا به الإنسان المفكر الناطق المدبر المتصرف ، الذى سخر الله له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه .

وعلى الجملة : فآيات الله جلية فى اختلاف الليل والنهار ، وجريان البحار والأنهار ، وخَلْقِ الجماد والحيوان ، والملائكة والجن والإنسان ، والثمار والنبات ، صنوان وغير صنوان ، مشتبهات وغير مشتبهات ، وما خلق الله فى السماء من كواكب ثابتة وسيارة ، واختلاف الألسنة والألوان ، وكيف صرف ملكه وأعطى كل شىء خلقه ، وأحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا ، تبارك الله رب العالمين .

ربنـا الله

رغم أنف الملحدين

ظروف :

فى هذه الآونة « الحرجة » التى تمر ببلاد العروبة والإسلام ، والتى تقتضينا أن نتخلى عن كل خلق ذميم ، ونتحلى بكل ما هو طيب وقويم ، وتلح علينا الحالة فى إصرار أن نعتصم بحبل الله وبدينه الذى ارتضى لعباده ، لنواجه خصومنا الألداء فى جبهة الـكفاح ونحن مسلحون بسلاح الحق والإيمان ، وممسكون بناحية الوحدة والترابط ، وفى هذه الآونة التى التى أجلبت علينا فيها الصهيونية العالمية بخيلها ورجلها ، وحشدت معها أعوانها وأذنابها ، وأسفرت عن نفسها حتى كشفت ما كانت تتقنع به من تضليل الرياء والخديعة ، وظهرت أمامنا كما هى على حقيقتها وكما أريد لها أن تـكون شوكة فى جنب العرب والمسلمين تُقِضُّ من مضاجعهم ، وخنجراً مسموماً مصوباً إلى صدورهم ، وغصة خانقة فى حناجرهم ، كل ذلك ليسهل على دول الظلم والاستعمار الوصول بها إلى مآربهم فى هذه المناطق الحيوية من العالم ، وهم لذلك يمدونها « أرادت أم أبت » بالسلاح والمـال ليدوم لها البقاء والقوة وتستطيع التهام من حولها من العباد ، وما جاورها من البلاد ، كما سجلت أملها ذلك على واجهة برلمانها « وطنكم يا اسرائيل ، من الفرات إلى النيل »

في سـبيل الحرية :

نعم : وفى هذه الآونة الفاصلة ، التى هبت فيها شعوب من رقدتها ، تستخلص حقها من براثن الوحوش الضارية ، وتجهز على بقية العسف والاضطهاد المالى ، ليستنشق الجميع نسيم الحرية والعزة والـكرامة فى أمن ورخاء وانطلاق ، وليدور دولاب الإنتاج والتعمير ، فى غير ما ابطاء ولا تعويق .

حشرات :

أقول ، فى هذه الآونة العصيبة بالذات ، تبرز لنا حشرات من جحورها تتسمى باسم «طلاب العلم ، ورجال الغد والمستقبل المرموق للوطن والدين» وتنتسب إلى حرم جامعى كريم ، خلد له الزمن خير الآثار ، وأخرج منه العصبة أولى القوة من الرجال الأفذاذ ، الذين خدموا بلادهم بل والإنسانية جمعاء أجل خدمات ، تبرز هذه الحشرات الحقيرة لا لتعلن عن فتح جديد فى عالم الطب أو الاقتصاد أو الاختراع ، ولا لتدعوا إلى جمع الـكلمة وتسوية الصفوف وشد أزر القادة المجاهدين .

إلحاد :

ولـكن لتعلن من حرم الجامعة المصرية نفسها وفى «مجلة الحياة الجامعية» ذاتها ، وتتلقف الخبر المشئوم عنها الصحافة بأسرها — مقررة فى غير حياء ولا ضمير «أن الجامعة المصرية» أصبحت الآن مذبذبة بين «المؤمنين والملحدين والوجوديين» بل صارت الـكلمة الظافرة فيها لدعاة الإلحاد ، إذ صـارت لهم الأغلبية الغالبة بين الطلاب ، قالت — المجلة — وهم (تعنى الملحدين) دائماً يهزمون المتدينين الذين يدافعون عن الدين والذين

لا تزيد نسبتهم عن ٩ ٪ فقط ، بينما دعاة الكفر والإلحاد — ٣٢ ٪ لا يؤمنون بالله ولا بالأديان ، قالت ، وهؤلاء لهم الأثر الأول على تفكير الجامعيين ، وهم وباء يزحف سريعاً ، أى ليقضى على البقية الباقية من التدين والخلق : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

أم خُلِقُوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟

قالت المجلة : وهناك فئة الملاحدة (وهى الغالبية) لا تعترف بالخالق ، ولكنها تعترف بالمخلوق ، إنها تقول بعظمة الإنسان وحرية الإنسان وحضارة الإنسان . ولا تفكر فيمن خلق الإنسان ، وإذا فكرت فهى تفلسف الأشياء بفلسفة خاصة لا تصل بها إليه ، قالت ، وهؤلاء هم الوجوديون ، وغالبيتهم من كلية آداب عين شمس وكلية آداب القاهرة ، ولكن الأولى بزت الثانية فى هذا المجال ، إذ بلغت نسبة انتشار الوجودية ، هناك ٤٢ ٪ ويرجع ذلك إلى فضل (؟) السادة أساتذة الوجودية ، الذين تجمعوا فى كلية آداب عين شمس .   (يا أرض ابلعى) .

« عينات » من كفرهم :

قالت صحيفتهم : وليس هذا كل شىء ، اسمعوا مايقوله بعض شبان الجامعة فى موضوع الدين من أساسه : إن الفيلسوف العبقرى (مصطفى محمد على) الطالب بكلية حقوق القاهرة يقول « إن الأديان فلسفات أدت دورها فى مرحلة معينة ، وانتهى دورها ليحل محلها العلم » ؟ والفيلسوف الآخر (سمير صبحى) بكلية آداب القاهرة يقول « إن الدين فى نظره خرافى

والأديان فاشلة ، لاأستعملها ! ولا أتبع تعاليمها ، لأنها تعطلني ! وأنا أؤمن بالوجودية ، وشعاري : سأعلم ابني كيف يصبح بلطجيا ؟ وابنتي كيف تصبح فاجرة ؟ . . إن شاءت » قالت المجلة ، واسمعوا إلى فيلسوفة كبيرة ، هي الآنسة فوزية حامد بكلية الآداب — فلسفة — « إن الدين لاقيمة له ، لأن الشيء موجود بآثاره . . وأنا لاأرى أي أثر للدين على المجتمع » . « ياضيعة العلم وخيبة الأمل » أهكذا تكون نهاية الشوط في التعلم ؟ أبهذه القحة وهذا السفور يحاول دعاة الهدم والتخريب انتهاك حتى أعظم مقدسات الأمة بل الإنسانية بأسرها ، فما بقي للناس بعد هذا ؟ ماذا يبقى للأمة من خلق أو وطنية متى أصيبت في معتقداتها الحقة بالانهيار والانحلال ؟ وهل من لاخير فيه لدينه وربه ، يرجى منه خير لأمته أو لوطنه ؟ أيتها البوم الصارخة في واد ، والنافخة في رماد ، هل حسبت المكان خربا ؟ والدار فارغة ، فقلت :

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري ؟

كذبت وأيم الله ، فالمؤمنون لك بالمرصاد ، والله لايهدي كيد الخائنين .

أصل الوجودية الملحدة ، وأذنابها :

صرح « جان بول سارتر » فيلسوف الوجودية بقوله (كل شيء مباح لي ، لأن الله غير موجود) قال : (وهذه هي نقطة البدء في الوجودية) فقاعدة فلسفتهم ، إنكار الخالق ، ولقد قال من قبله الفيلسوف الألماني نيشته رائد الملحدين « الله قد توارى » تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ،

وجاء من بعده تلميذه (هايدجر) فدعا إلى الوجودية فى قوة وكان يملك بلاطا غاصا بالمنادمين الذين لا يفيقون من سكر ، وكان يخلع لقب « الإنسان الأكمل » على كل مصاب بالشذوذ الجنسى ، بل لقد كان هذا الفيلسوف الملحد يتولى بنفسه مهمة إفساد الشبان النازيين ، ليصبح كل منهم جديرا بلقب (الإنسان الأكمل) ولقد كان أهل السفسطة من اليونانيين أسبق من هؤلاء جميعا فى إنكار حقائق الأشياء الثابتة حتى قالوا (إن الأصل هو ألاّ دين ولا قانون ، وأن الأديان والقوانين ما هى الاختراعات وحيل سياسية لاخضاع الجمهور) فجاء هؤلاء الفجرة واتبعوهم على غير هدى .

بضاعة أجنبية :

تلك هى الوجودية الفاجرة التى لا تمت إلى الأديان السماوية ، ولا إلى الأخلاق الفاضلة بأية صلة ، بل تبرأ منهما جميعاً ، وتخلق من أتباعها كفرة فجرة لا يعرفون للوطن حقاً ، ولا يرجون لله وقارا ، ولا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، هجمت على الشرق من دول الغرب الملحدة ، وتلقفها الغافلون الماجنون كما يتلقف الطفل ثدى أمه ، ولم تعرف مصر ولا البلاد العربية هذه المذاهب المتحللة إلا فى السنوات الأخيرة ، فهى إذن مذهب أجنبى ، صدروه إلينا تصديراً من خارج حدودنا واختاروا له الوكلاء والعملاء والضحايا ومن المؤسف المحزن أن تروج تلك البضاعة لدى من كنا نوقن أنهم أول المحاربين لأهلها ، لدى طلبة الجامعة ، طلبة العلم المنير والثقافة الرشيدة ، والمرحلة النهائية ومن هم على أبواب تولى قيادة الأمة ، ولا يقفون

عند الإلحاد فى أنفسهم ، حتى يعلنوه على الملأ ، ويذيعوه فى الصحف ، ويتبجحون بأنه لا ألوهية ولا دين وأنهم سيعلمون نبيهم « البلطجة » وبناتهم الفجور ، (وافضيحتاه) إذن « فاتباع الجهل كان أولى وأسلم » ..

ماذا تنتظر ؟

وأى نفع يرجى أن يقدمه هؤلاء لوطنهم وقد أوضحوا من الآن سياستهم « فى البلطجة والفجور » إن الوطنية الصادقة ، تتطلب قلوباً سليمة من الجبن والكسل ، متمرنة على البذل والإقدام ، وذلك لا يكون إلا من سبيل تربية العقائد الدينية ، التى تجعل المرء خلقاً آخر فى الفدائية والإيثار ، لأنه وصل حبله بحبل الله ، فهانت أمامه الدنيا بحقراتها ، وتحدد الهدف فشمر إليه غير مبال بمصاعب أو مصائب ، إن المؤمن بالله يلقى عدوه فى الميدان جذلان فرحا ، لا يبالى أسقط على الموت أم سقط الموت عليه ، أعلى أمله فى الله وفى الجنة من روحه المعنوية فصار المؤمن يغلب عشرة من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، وهكذا حاله فى سائر تصرفاته يصطفى معالى الأمور ويعتزل سفاسفها .

كشف الصحف عن سفالة الوجوديين

يأس وتساوى الضدين :

قالت « التحرير » أن النزعة الإنسانية الصحيحة تؤكد أن بوسع الإنسان الخروج من مآزقه ، أما الوجودية فتبرر بروائع من الهذيان الفلسفى أن الإنسان لا خلاص له من مآزقه .. أنه وحيد ضائع فى هذا الوجود ..

إنه مخفق حقاً ، حتى قالت إحدى الوجوديات (بوفوار) ليس هناك إطلاقا أى نجاح فى الحياة » أما جان سارتر فيقول (حكم على الناس باليأس لأنهم يكتشفون أن جميع النشاطات الأنسانية متساوية مقدر عليها الإخفاق ، وهكذا سواء لدى الإنسان أن يتعاطى كؤوس الخمر فى عزلته ، أو ينبرى لقيادة الشعوب) مؤدى هذه العبارة أن الذى ينهض لقتال محتلى بلاده ، يتساوى فى مصير جهوده مع الذى ينفرد بكأس وامرأة فى حانة . . وهذه العبارة وردت فى كتاب (سارتر) الذى شرح فيه فلسفته أوفى شرح ، وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٢ حين كانت فرنسا تحت نير الاحتلال النازى — وقد فسر أحد تلامذته مضمون كتابه هذا بقوله ، « أننا إذا راعينا تاريخ هذا الكتاب كان معنى هذه العبارة السارترية أنه سيان لدى المواطن الفرنسى أن يكون خائنا عميلا للجستابو ، أو مناضلا فى حركة المقاومة السرية ضد النازى — ثم قال هذا التلميذ نفسه بعد أن كفر بوجودية أستاذه — أن نفسى تتقزز حين أفكر فى التعليق على هذه الكلمة . . . . ثم استطردت مجلة التحرير تقول عن فضايح الوجوديين (إن الفكرة الوجودية الصميمة ، فكرة الإخفاق وتساوى مصير الأعمال هى الأساس الفلسفى الدائم الذى يبرر به الوجوديون جميع أعمالهم ، من الشذوذ الجنسى ، إلى خيانة الوطن والسير فى ركاب الاستعمار أيا كان نوعه) قالت وهناك وجودية من نوع آخر تسمى « الوجودية الدينية » تناهض « الوجودية الإلحادية » فى ظاهر الأمر ، ولكنها تتفق معها فى الفكرة الأساسية (فكرة الإخفاق وتساوى مصير

الأعمال) فهى أيضاً تقول بصراحة (إن الجلاد مثل ضحيته ، والفاشستى مثل الديمقراطى ، والخائن مثل البطل — ثم قالت المجلة : لا يخدعنا إذن وجودى يزعم أنه مؤمن بالدين متصوف ، مناهض للوجودية الملحدة ، فإن هـذا الوجودى المتدين المتصوف يستطيع أن يكون خائنا وعميلا للاستعمار أفضل مما يستطيع وجودى سارترى مزهو بالإلحاد الأجوف . . . إن الوجودى المتصوف كالوجودى المربيد يؤمن بأن مصير كل شىء الإخفاق ، حتى الصلاة والصوم والعبادة مصيرها الإخفاق ، فلا ثواب ولا عقاب ، كما يؤمن أصحاب الأديان) .

الوجوديون بمصر

ثم قالت « التحرير »(هل يريد الوجوديون فى مصر تطبيق وجوديتهم اجتماعياً وسياسياً ، أى تعريضها للاختبار العملى فى المجتمع والحياة ؟ . . . إن التاريخ ملعون فى نظر الوجوديين لأنه يتقدم ، والمجتمع ملعون أيضاً لأنه يتطور والعقل لديهم ملعون لأنه يفـكر ويتسلح ويصارع الطبيعة ويخضعها للانسان .. من ذا الذى يريد أن يكون عميلا للاستعمار الفرنسى والأمريكى والبريطانى ؟ إن (سارتر) نفسه آثر الهرب من هذا المصير ، وحاول أن يثبت أن الوجودى يستطيع أن يكون نصير السلام العالمى والتقدم الإنسانى وهو بهذا ينقض الوجودية ويعلن إفلاسها) .

هل هو إيمان أعمى ؟

وكتب الأستاذ أحمد قاسم جودة فى الجمهورية يقول : حضر عندى

الطالب الجامعى (محمود أحمد المراغى) الذى كتب التحقيق الصحفى فى المجلة المشار إليها — ومعه بعض رفاقه لزيارتى ، فسألنى أحدهم ، أتريد منا أن نؤمن إيماناً أعمى؟ فقلت بل أريدلكم أن تؤمنوا إيماناً بصيراً كل الإبصار وقد قال الله سبحانه وتعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) وفى هذه الآية وغيرها من الآيات دعوة صريحة مطلقة للبحث وطلب العلم ، وعدم السير فى موكب الجهل ، ولكن هذا شىء يختلف عما يصنعه طلاب اليوم ، فهم لايطلبون العلم بحقائق الدين ، ولا يستكملون مبادىء التعليم الأساسية التى تؤهلهم لفهم الدين والإيمان بالديان .. بل يقتحمون الغيبيات ، ويفتون فى أعمق المعضلات ، قبل أن يحفظوا الأبجديات :

الوجوديون كلاب :

وكتب الأستاذ التابعى فى الأخبار تحت عنوان (الوجودية) مايلى :

أثار صديقى الأستاذ جودة — وحسنا فعل — فضيحة الإلحاد الذى انتشر فى أوساط جامعاتنا تحت ستار الوجودية .. وأنا لم أدرس الوجودية ولم أقرأ عنها كتاباً واحدا . وما سمعته عنها لايغرى بالدرس والقراءة ، وأكبر الظن أنها « تقليعة » تفتق عنها خيال مخمور منقوع فى الأبسنت والنبيذ الرخيص وهى ليست فلسفة ، لأن الفلسفات لاتنكر وجود الخالق ولكنها كما يخيل إلى مرض علته الكبت والحرمان .

وكنت فى باريس فى ربيع عام ١٩٤٩ .. وسمعت لأول مرة عن (الوجودية والوجوديين) وكان الراوى صديقى الأستاذ أحمد الألفى عطية . فقد جاء فى ذات صباح وقال : إنه أمضى سهرة الأمس مع بعض

الوجوديين فى إحدى حانات الحى اللاتينى ، وخرجت من وصفه المسهب بأن الوجودية شىء قذر . . وأن الوجوديين لا يدينون بسوى البهيمية . . وأنهم ذكوراً وإناثاً . مثل الكلاب . . . الصلات بينهم سهلة موصولة بغير ضابط أو حساب . . هذا عن الوجوديين فى باريس . . . ولا أزعم أنى أعرف شيئاً عن الوجوديين بمصر ، ولكننى أزعم أن بعض شبابنا مولع بالتقليد الأعمى وباستيراد كل «تقليعة» ما دامت مصنوعة فى أوروبا .. »

لوثة :

كما قال الأستاذ سامى داود فى الأخبار (إن فى أوساط شبابنا اليوم لوثة أخرى . . . سموها لوثة الإلحاد أو لوثة الوجودية أو ما تشاءون إنها فى الآخر مجرد لوثة تبدو مظاهرها فى ألوان من الاستهتار باللفظ والتصرفات والمجتمع ، وتغذ بها محاضرات فجة أو مقالات غامضة من بعض أساتذة الجامعات) .

أستاذ بالجامعة « وجودى » ينادى بالفجور وهدم الأخلاق :

فى الصفحة الأولى من صحيفة الجمهورية ١٩٥٥/١٠/١٥ تحت عنوان « خاطر الصباح » كتب الأستاذ أحمد قاسم جودة ما يلى : —

« إذا وصفت إنساناً بأنه عديم الأخلاق فإنه سيثور لكرامته وإنسانيته .. إلا فى حالة واحدة هى أن يكون هذا الإنسان «وجودياً» فإنه سيعتبر ذلك فخراً واعترافاً بوجوديته — لست أتجنى ولا أبالغ ولكنى أقرر حقيقة منقولة عن الرجل الذى يعتبر حجة الفلسفة الوجودية فى مصر . وهو الدكتور (عبد الرحمن بدوى) الأستاذ بجامعة عين شمس — اسمعوا

بالله ماذا يقول فى رسالة بقلمه صدرت بالقاهرة عام ١٩٥٣ بعنوان (هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟) إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك ، وإما أن تقول بألا أخلاق فتخاطر بوجودك ، ولكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته — واسمعوا من فضلكم أيضاً قوله «الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون .. إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب فى عالمها ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها ، إنه الفعل الدائم أيا كان نوعه ونتائجه ، فإن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها فى هذا الباب إننا معشر الوجوديين لا نريد أن ننساق فى أحلام البراءة والبكارة والطهارة بل نصيح ملء فينا (افعلوا افعلوا حتى ولو أدى ذلك إلى الخطأ) ؟ قاتلهم الله .

فقد المرشد :

وقال الأستاذ سلامه موسى فى الأخبار : « سارتر » أساس الوجودية عنده إنكار الله ، ليس للإنسان فى الحياة إله يرشده إلا نفسه ، أعتقد أن سارتر ليس إلا فوضويا يقول : أنا وحدى وليذهب المجتمع والإنسانية مع الريح .. »

أسئلة موجهة إلى الجامعة أساتذة وطلابا :

وجهت الجمهورية فى ١٩٥٥/١٠/٦ — إلى الرأى العام هذ التساؤل :

لموضوع الوجوديين فى الجامعة خطره الكبير ، فليس الأمر أمر دين وإيمان فقط ، ليس هو أمر الصلة بين الخالق والمخلوق .. أو الإنسان وربه

وإنما هو أخطر من هذا بكثير ، فهو يتعلق أولا بمدى احترام هؤلاء الشبان للقيم الاجتماعية ، ومدى تحللهم من رعاية هذه القيم ، الأمر متعلق بصلة الإنسان أيضا بأسرته وإخوته ومجتمعه ووطنه ، هل لهؤلاء حقوق عليه أم لاحقوق لهم ؟ وهل هو مرتبط بهم ، أم قد انفصم الرباط بينه وبينهم ؟ هل هو يعيش لنفسه ، أم هو يعيش لنفسه وللآخرين ؟ هل هو يقيم وزنا للخير والشر ، أم هو لايقيم وزنا إلا لما يرى فيه سعادته الشخصية وإن خرج فى سبيلها على كل مألوف ؟ وهل هى فلسفة أم انحلال ؟ وهل هى نابعة من دراسات جامعية بالمعنى المفهوم من الدراسات الجامعية أم نابعة من دعوات انحلالية يبثها رجال منحلون باسم الفلسفة ، وقد لبسوا أرواب الأساتذة وجلسوا من طلابهم مجلس التوجيه ؟ وهل الأستاذ الجامعى أستاذ فقط يعلم تلاميذه العلم أم هو أيضا مبشر ؟ من حقه أن يبشر بالدين ومن حقه أن يبشر بالإلحاد ومن حقه أن يبشر بالوجودية أو أن يبشر بالشيوعية . مثلا ؟؟؟

وأخيراً :

لو حاولنا استقصاء ما كتب ردا على هؤلاء الملحدين والوجوديين لملأنا مجلدات ، وهم أحقر من أن نضيع وقتا آخر فى سرد مفترياتهم على الله وعلى الأخلاق وعلى الآداب العامة ، ويكفيهم خزيا وعاراً وجهلا أنهم شذوا عن قانون الفطرة السليمة « فطرة الله التى فطر الناس عليها » فطرة الله الذى أخرجهم من بطون أمهاتهم مزودين بغريزة التدين والاعتراف بإله ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وما من

أمة من الأمم فى ماضى الزمان السحيق أو حاضره الحديث إلا وقد أقرت بوجود الله وقهره فوق عباده وتدبيره لشؤونهم وإن اختلفت لديهم صور العبادة أو انحرفوا فى وسائل الوصول إلى مرضاته ، ولم يشذ عن الخضوع لهذا الإله إلا منكوس القلب مطموس العقل أعمى البصيرة عن النظر فى آياته تعالى فى الآفاق وفى الأنفس ، تلك الآيات التى متى اتجه البصر إليها « والقلب سليم والنفس مطمئنة لم تتدنس بلوثات بيئة فاسدة أو وراثة ضالة أو تقليد أعمى » فلا بد له من الاستدلال بها على عظمة مبدعها والإقرار بكمال قدرته وعظيم سلطانه .

الإيمان بالله فى القديم والحديث

أمّا وقد هتكنا ستر الملحدين والوجوديين ، وكشفنا عن مجونهم واستهتارهم بالأخلاق والوطن والأديان ، وانتهينا من معركتهم وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . فَلْنُوَلِّ وجوهنا وقلوبنا إلى رياض الإيمان والمؤمنين ، ندخل جنتها ونستنشق عبيرها ، ونمتع النفس برَوْحها وريحانها — ولنطالع حقائق الإيمان وقضاياه ، نظرياً وعملياً ، فكراً وفعلا ، عقيدة وسلوكا ، نريد أن نطوف حول كعبته ونتتبع مراحله فى تاريخ الإنسانية على وجه مجمل ، وهل الإيمان بالله طبيعى خَلق وضعُ الله فى الفطرة وهبتهُ لعباده أم هو شىء طارىء على البشرية اكتسبوه بجدهم وجهادهم وأخرجوه مما عملت أيديهم ؟ أو بعبارة أخرى ، هل الإيمان من لوازم البشر وطبائعهم وضرورياتهم كالطعام والشراب والتنفس أم هو دون ذلك مما يستطاع الاستغناء عنه ؟ وذلك حتى يستيقن شبابنا الجامعى الذى

وقع فريسة للإلحاد والملحدين أنهم قد شذوا عن الإنسانية فى جميع أطوارها منذ بدأ الله الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وسيثبت لهم من إقرار القدامى والمعاصرين من فحول العلماء ما يخرس المكابرين وينزل صاعقة على أدمغة الفاسقين « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » حتى إذا ما فرغنا من ذلك استعرضنا بعض نماذج للمؤمنين وكيف كان أثر الإيمان الحق فى سلوكهم مع أنفسهم ومع الناس ، وكيف صيرهم الإيمان شخصيات قوية صابرة راضية مجاهدة اكتملت كل مقومات الفضل والمجد ، وأخذت من وسائل الحياة الطيبة التى كتبها الله للمؤمنين والمؤمنات بنصيب كريم ؟

فلننظر أولا فى الإيمان كعقيدة لدى القدامى والمعاصرين ، ثم لنشاهد أثره فى المؤمنين :

الإله الأوحد لدى قدماء المصريين :

ثبت بما لا يدع مجالا للريب ، أن المصريين منذ ألوف السنين ، قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، بدءوا يسجلون عقائدهم فى قراطيس البردى ، على جدران المقابر والمعابد ، وتدل بعض أوراق البردى المحفوظة الآن فى برلين وفى ليدن ، على أن المصريين منذ القدم ، كانوا يعرفون الإله الأوحد الغيبى الأزلى الذى لا تصوره الرسوم ولا تحصره الحدود ، وإن خالطهم اعتقاد حلول سره فى بعض مخلوقاته من إنسان أو حيوان أو جماد .

إليه يرجع الأمر كله :

فلاسفة الإغريق وهم : « سقراط وأفلاطون تلميذه وتلميذ أفلاطون

« أرسطو » فى أواخر القرن الخامس وأول القرن الرابع قبل الميلاد قرروا (أن السبب الأول الأزلى بإطلاق ، المبدأ لـكل حركة وتغيير ، ليس هو المادة ، بل روح عاقل مدبر متصرف فى المواد) — وزاد أفلاطون ذلك تقريراً فقال (إن الروح هى أول موجود ، وهى المبدأ الأصيل ، وهى سبب الـكائنات بلا استثناء ، وسبب كل حركة وتغيير فيما كان وما هو كائن وما سيكون ، وأنها هى التى تدبر السماء والأرض ، وإليها مرد كل تركيب وتحليل ونمو ونقص وخير وشر وحسن وقبيح وعدل وظلم وكل الأضداد والمتقابلات وأنها منشأ كل شىء ، وكل ما فى الـكون من نظام وتدبير على أدق حساب يدل على أنها الروح التى لها المثل الأعلى فى الـكمال) .

التدين غريزة إنسانية :

يقول معجم لاروس للقرن العشرين « إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية وإن هذه الغريزة الدينية لا تختفى ، بل لا تضعف ولا تذبل إلا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد » .

خلود الدين ، ونقصان العلم :

يقول (سالومون) « ليس أمام الديانات مستقبل محدود ، بل لنا أن نقول على يقين من أنها ستبقى ، ذلك لأنه سيبقى فى الـكون دائماً أسرار ومجاهيل ، ولأن العلم لن يحقق أبداً مهمته على وجه الـكمال » الله أكبر

— فليخسأ هذا السافل الذى تبجح وقال إن الأديان ذهبت وحل محلها العلم وليحذر هو وأضرابه أن يتحقق فيهم وعيد القرآن الصادق (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ، فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده ، وخسر هنا لك الكافرون) .

ويقول (ماكس نوردوه) أن الشعور الدينى إحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدسا . وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية وستتطور بتطورها ، وستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة) .

بطلان المذهب المادى وثبات الدين :

قال (أرنست رينان) فى كتابه « تاريخ الأديان » إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يدير أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية » .

وإن هذه الكلمات من هؤلاء العلماء غير المسلمين ، لصفعات على خدود هؤلاء الملحدين ، بل ونعال على رءوس أولئك الوجوديين ، الذين قيض الشيطان لهم قرناء ، وأساتذة سفهاء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم

وما خلفهم ، حتى جردوهم من عقيدتهم بله إنسانيتهم فصاروا فى عداد العجماوات ، بل هم أضل سبيلا .

الدين مرب للإرادة والوجدان والعقل :

التدين (ولا سيما فى أديان التوحيد والخلود) عنصر ضرورى لتكميل القوة النظرية فى الإنسان ، فبه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته ، ومن دونه لا يحقق مطامحه العليا » وهو عنصر ضرورى لتكميل قوة الوجدان فالعواطف النبيلة من الحب والشوق والشكر والتواضع والحياء والأمل وغيرها إذا لم تجد ضالتها المنشودة فى الأشياء ولا فى الناس ، وإذا جفت ينابيعها فى هذا العالم المتبدل المتبدد ، وجدت فى موضوع الدين مجالا لا تدرك غايته ، ومنهلا لا ينفد معينه ، وأخيراً هو ضرورى لتكميل قوة الإدارة ، يمدها بأعظم البواعث والدوافع ، ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط .

وهكذا نرى الفكرة الدينية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية فى مختلف ملكاتها ومظاهرها — حتى إنه كما صح أن يعرف الإنسان بأنه (حيوان مفكر) أو بأنه (حيوان مدنى بطبعه) يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه (حيوان متدين بفطرته) .

وظيفة الأديان فى المجتمع :

ذكر الدكتور « محمد عبد الله دراز» عضو جماعة كبار العلماء فى كتابه « الدين » تحت هذا العنوان مايلى : لاقيام للحياة فى الجماعة إلا بالتعاون

بين أعضائها ، وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وهذا القانون لاغنى له عن سلطان نازع وازع ، يكفل مهابته فى النفوس ويمنع انتهاك حرماته — ونقرر — أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها فى كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، السر فى ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شىء لايقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع فى يده ولا عنقه ، ولا يجرى فى دمه ولا فى عضلاته وأعصابه ، وإنما هو معنى إنسانى روحانى ، اسمه الفكرة والعقيدة ، ولقد ضل قوم قلبوا هذا الوضع وحسبوا أن الفكر والضمير يؤثران فى الحياة المادية والاقتصادية ، بل يتأثران بها ... أجل إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدنية فاضلة تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل فإن الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية ، لايلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون ومن الخطأ البين أن نظن أن فى نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهذيب الدينى والخلقى ، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين ، يصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير ، ولابد فى حسن استخدامه من رقيب أخلاقى يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض ، لا إلى نشر الشر والفساد ، ذلكم الرقيب هو (العقيدة والإيمان) .

الإيمان على نوعين :

والإيما على ضربين : (١) إيمان بقيمة الفضيلة وكرامة الإنسانية ، وما إلى ذلك من المعانى المجردة التى تستحيي النفوس العالية من مخالفة دواعيها حتى ولو أعفيت من التبعات الخارجية والأجزية المادية .

(٢) وإيمان بذات عالية رقيبة على السرائر يستمد القانون سلطانه الأدبي من أمرها ونهيها ، وتلتهب المشاعر بالحياء منها أو بمحبتها أو بخشيتها ولا ريب أن هذا الإيمان الثانى هو أقوى النوعين سلطانا على النفس الإنسانية ، وهو أشدهما مقاومة لأعاصير الهوى ، وتقلبات العواطف ، وأسرعهما نفاذاً فى قلوب العامة والخاصة .

صمام الأمن :

من أجل ذلك كان « التدين » خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة ، وكان التدين كذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية ... ولا يغرنك أن دولا كبيرة أسست نهضتها فى عصرنا هذا على غير الدين ، وقد استتب النظام فيها ومَكَّنَ لها فى الأرض ؟ إننا لا نريد أن نسبق الحوادث ، وأن نتنبأ بمصير هذا البنيان الذى أسس على غير تقوى من الله ورضوان ، ولكننا نحب أن نقدم لك نموذجا ، لا من أقوال رجال الدين . بل من أقوال أقطاب العلم ، وزعماء السياسة ، وقواد الحرب ، فى تلك الدول نفسها .

أمريكا تدعو إلى الله !

فاستمع إلى قول (روبرت ملليكان) العالم الطبيعى الأمريكى : قال : (إن أهم أمر فى الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات ، وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة ، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة ، بل يصير العلم نكبة على على البشرية) وقال الدكتور (ويلسون) الرئيس الأسبق للولايات المتحدة بأمريكا « إن حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات فلن نستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وأنها لا يمكن أن تنجوا إلا إذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها ، ذلك الأمر الذى يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية وأصحاب رءوس أموالنا وكل فرد خائف من الله محب لبلده » .

« قلت » هذا إقرار من رئيس سابق لأكبر دولة فى العالم وأملكها لوسائل الغنى والقوة ، ومن تمام الفائدة أن نسجل هنا نداء الرئيس الأمريكى الحالى « ايزنهاور » الذى نشرته جميع الصحف وأذاعته كل الإذاعات وتلقته جميع وكالات الأنباء فى يوم ٢١ / ٢ / ١٩٥٥ م : وهذا نصه « ناشد الرئيس ايزنهاور ليلة أمس جميع أفراد الشعب الأمريكى العودة إلى الله : وقال الرئيس الأمريكى « فبغير الله لن تكون هناك حكومة فى أمريكا ، ولن تكون لنا طريقة للحياة ، إن اعترافنا بالله هو الأساس الأول عن حياتنا كأمريكيين ، فهكذا فعل آباؤنا الذين أسسوا أمريكا ، وهكذا سنستمر بعون الله » الأخبار فى ٢٢ / ٢ / ١٩٥٥ م ص ١ العدد ٨٣١ »

ويا حبذا لو أتبعوا القول بالعمل ، فأصلحوا من نفوسهم مع الله ، حتى يرحموا الشعوب التى استنزفوها وظلموها ، ولا يسيروا مسخرين فى ركاب الصهيونية الغادرة التى ستجلب عليهم وعلى نفسها الدمار والبوار .

ألا ، فَلْيمُت خجلا أولئك الملحدون الذين شذوا عن القديم والحديث وأرادوها إباحية مطلقة يرخى لهم فيها حبل الشهوات ليعبوا منها حتى تبلغ الحناجر ، أولئك هم أساطين العالم الذين يتخذهم مدعو الحضارة قدوة لهم ، ها هم قد دَعَوْا إلى الله. واعترفوا بمهمة الدين فى الحكومات والشعوب ، فلم لم تذعنوا كما أذعنوا يا من تسارعوا دائما بمحاكاتهم فى كل شيء ، وتعتبرون ما صدروه لنا حرما مقدساً مصونا لا يمس بسوء ولا يعترض عليه ، فهلا آمنتم بالله كما آمنوا ؟ أم هم مجانين فى هذا الإقرار مع سائر الخلق ، وأنتم وحدكم العقلاء ؟ ؟

زعماء فرنسا والإيمان :

واسمع أيضا : أذاع المارشال « بيتان » عاهل الدولة الفرنسية فى خاتمة خطابه الذى ألقاه على أمته فى يوم فى ٢٥ يونيو عام ١٩٤٠ م عقب توقيع الهدنة التى التمسها من زعيم ألمانيا المنتصرة : قال : « إننى أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض أخلاقى » ولا ننسى تصريح وزير المستعمرات الفرنسية عقب الهزيمة حيث قال أمام البرلمان « ما أضاعنا إلا ميوعة الشباب وتحلل أفراد الجيش من الخلق القويم . »

مونتجومرى والتدين :

أذاع المارشال مونتجومرى فى خطبته أمام الجيش الثامن يوم ٤ / ٣ / ١٩٥١ م ما يلى : « إن أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الأخلاقى ، ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم فى العمل إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى ما يعملونه ، ويقينى أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى ، إن خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ، ولذلك لا نستطيع أن ننتصر فى معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شىء » الأهرام فى ٨ / ٣ / ١٩٥١ : تحت عنوان « ما قل ودل » .

الدين خير محقق للوحدة :

قال الدكتور « دراز » فى كتاب (الدين) : إن الخدمة الجليلة التى تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند تهذيب السلوك وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ، ومقاومة الفوضى والفساد ، فحسب . بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً فى كيان الجماعة ، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم ، لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة ، بل إن هذه العلائق مجتمعة مهما يكن أثرها الظاهرى من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل ، تظل روابط سطحية تضم الأفراد كما تضم الأعواد فى ضغث ، ولا تزال تتخللها الفجوات والثغرات والحواجز النفسية ، حتى تشدها رابطة الأخوة فى العقيدة

والمشاركة فى المثل العليا ، فهنالك تعود الكثرة وحدة ، وتصبح النفوس كالمرايا المتقابلة ، تنعكس صور بعضها فى بعض ، بل كثيراً ما تستغنى هذه الوحدة الروحية عن سائر الوحدات الأخرى ، فتنعقد بها أقوى الوشائج وأدومها ، بين أفراد اختلفت أجناسهم ، وتباينت لهجاتهم ، وتباعدت ديارهم ، وتفاوتت مصالحهم ، وكثيراً ما نرى الدول التى تقوم على قاعدة المصالح المشتركة فى الوطن بين ملل مختلفة تضطر إلى الاستنجاد بما فى هذه الأديان كلها من مبدأ التعاون على الخير والتناصر على دفع عدوان المغيرين — ولذلك قيل بحق « إن الوطنية التى لا تعتمد على باعثة من الخلق والدين إنما هى حصن متداع يوشك أن ينهار — وقد ثبت بهذا كله أن الأديان تحل من الجماعات محل القلب من الجسد . اه .

(عظمة الله فى الأنفس والأكوان ، تدعو إلى الإيمان)

تقدم العلم يخدم الدين :

هرشل من مشاهير الحكماء فى القرن الثامن عشر قال : « إنه كلما اتسع نطاق العلوم تحققت وكثرت الأدلة على وجود حكمة خالقة قادرة مطلقة ، وعلماء الأرضيات والهيئة والطبيعيات والرياضيات يهيئون بمساعيهم واكتشافاتهم كل ما يلزم لإنشاء معهد العلوم إعلاء لكلمة الخالق » .

خلق السموات والأرض بالحق :

قال سقراط شيخ فلاسفة اليونان : « هذا العالم — الذى يظهر لنا

على هذا النحو لم يُترك شيء فيه للمصادفة ، بل كل جزء من أجزائه متجه نحو غاية ، وتلك الغاية متجهة نحو غاية أعلى منها ، وهكذا يتم الوصول إلى غاية نهائية منفردة وحيدة ، والطبيعة أثر يتجلى فيه الاتحاد الدال على وحدانية الصانع الذى ينفذ حكمه كنفوذ الفكر فى الحال بدون أى خطأ وهو عالم قادر ومن المستحيل إدراكه بالحواس ، فهو كالشمس التى تمس جميع الأبصار ، لكنها لا تبيح لأحد أن ينظر إليها . . . » .

الله حقيقة الحقائق :

قال « البروفسور سينوت » الأستاذ بجامعة بيل الأمريكية وعالم الأحياء المعروف فى كتابه « حياة الروح » مسألة واحدة حيرت ألباب العلماء منذ عصور موغلة فى القدم ، وهى طبيعة الإنسان المزدوجة الغريبة ، فالجانب المادى منه وهو جسده ، يولد ويحيا وينمو ثم يموت ، ولكن شيئاً لا تدركه الحواس يبدو أنه يحكم هذا الجسد ، وفى مقدور هذا الشىء أن يشعر وأن يفكر ، إنه ذلك الجانب الذى تتركز فيه خلاصة كيانه ، فالإنسان يبدو وكأنه كائنان ، كائن مادى ، وكائن آخر يقابله غير مادى ، ترى هل كل منهما حقيقى ؟ أو إن أحدهما لا يعدو أن يكون وهما من الأوهام — وفى سبيل العثور على أساس مشترك للجسد والروح رجع « البروفسور سينوت » الطريق كله حتى وصل إلى (البروتو بلازم) وهى تلك المادة الخفية الغامضة فى الخلايا الحية التى تتشابه فى نظامها العضوى ، من البكتريا حتى الإنسان ، وقد درس علماء الحياة الكثير

من خصائصها ولكنهم لم يفسروا حتى الآن أبرز هذه الخصائص وهى قوة عزيمتها ، وحتى فى أبسط الكائنات الحية يبدو أن للبروتو بلازم هدفا واضحاً فهى تعرف ما تريد أن تفعل ويتمثل ذلك فى خلية البيضة المخصبة ، حتى تنمو وتتخذ شكلا خاصاً ، كما يتمثل فى الضفدعة وشجرة الصنوبر والإنسان . ويخلص « البروفسورسينوت » من بحثه المستفيض إلى حقيقة كبرى سجلها فى كتابه بوصفه عالماً يسعى وراء الحقائق ، ولا شىء غير الحقائق . إنه يقول فى ختام كتابه « إنه يعتقد أن هذا الشىء الخفى فى كيان الإنسان الذى لا تدركه الحواس والذى هو خلاصة كيانه هو قوة من عند (الله) .

الإيمان والدين ، خير علاج لأمراض العاصين

نشر الملازم « عادل عبد المجيد رسلان » ضابط بوليس بنها بصحيفة الأهرام يوم ١٩/١٠/٩٥٥ — كلمة عن أثر التدين فى نفوس المجرمين بوصفه من رجال الأمن ، جاء فيها :

« إن الدين يصلح أمور الطلبة ويصل بينهم وبين الحياة العملية المستقيمة ويوجههم وجهة صالحة فى معترك حياتهم المستقبلة ، ولقد قضيت أيامى فى خدمة الأمن العام ، واطلعت على الجرائم وأسرارها ، وإنى أشهد شهادة يعلم الله صدقها ، أن المجرمين لا يقلون ذكاء عن غيرهم ، بل قد يزيدون ذكاء وعلما ، ومنهم من يحسن رسم الخطة وتدبير الجريمة والدفاع عن نفسه ، ولكن روح الشر تغلب عليه ، ولو كان لهم وازع دينى لجنبهم طريق الشر

والإجرام ، فليكن الدين أول ما يفكر فيه الآباء ، ويلقنه الأساتذة لطلابهم تمشياً مع روح الثورة التى تدعو لبناء وطن عظيم قوامه الدين والأخلاق » .

وإنها لشهادة جليلة للدين من رجل مسئول عن الأمن مجرب حال المجرمين ، ولعل فيها نصيحة نافعة لرجال التعليم أن يعنوا مع تعليمهم بالتربية الدينية والخلقية ، على أن يكون المعلم نفسه خير داع إلى الفضيلة بعمله وقوله وحاله وسلوكه ، وألا يكون الدين والأخلاق فى المدارس والمعاهد حصصاً تؤدى لاجتياز الامتحانات ، وليس للقلب ولا للسلوك منها نصيب .

ولقد ثبت اتفاق علماء النفس مع علماء الدين ، على أن الصلاه وسائر وسائل الاتصال الروحى بالخالق جل شأنه ، من أفضل السبل للقضاء على على مظهر واحد على الأقل لعله أكثر مظاهر الأمراض النفسية شيوعا وذلك هو القلق ، وفى ذلك يقول « وليم جيمس » عالم النفس الأمريكى وأستاذ بجامعة هارفارد (إن أفضل علاج للقلق هو الإيمان) ويشد أزره فيما يقول عالم النفس الانجليزى « بريل » فيقول بدوره (لن تجد شخصا متديناً حقا تصيبه الأمراض النفسية) ويدلى الدكتور « كاريل » ببيان أثر العبادة فى نفوس ذويها فيقول : (إن الصلاة هى أعظم طاقة نشاط فى وسع المرء أن يولدها ، وهى قوة حقيقية كقوة الجاذبية الأرضية ، وقد رأيت بوصفى طبيباً مرضى أخفقت صنوف العقاقير فى علاجهم ، ثم شفتهم الصلاة فالصلاة أشبه ما تكون بالراديوم ، أى أنها منبع نشاط ذاتى ذى قوة شافية ، فحين نصلى نربط بين أنفسنا وبين قوة دافقة لا تستنفد ، هى القوة التى تنظم

الـكون ونسأل المولى جل وعلا أن يهبنا قبسا من قوته لإرضاء حاجتنا ، بل حتى فى الدعاء إلى الله فحسب نستمد نفحة من قوة الخالق تشفى أرواحنا وأجسادنا) .

الله أكبر . تلك أقوال لعلماء أجانب عن الاسـلام ، فى أثر الدين والإيمان ، فاعجب لقوم ينتسبون إلى الإسلام ويتحللون منه « ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » .

(يأيها الذين آمنوا من يرتد منـكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الـكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) وبالله التوفيق .

أنساهم الإيمان ، مرارة الآلام

فجابوا البلاد ، وهدوا العباد

قبل نهاية طبع هذه الرسالة بقليل ، نشرت « الأهرام » للسيد وزير الأوقاف فضيلة الأستاذ الباقورى ، كلمة تحت عنوان (الإيمان .. والمؤمنون) أوضح فيها أثر الإيمان فى نفوس سلفنا الكريم ، الذى ركب الأخطار ، وواصل الأسفار ، إلى بلاد نائية (لم يك فى وسع المرء العادى أن يسمع عنها بله أن يَبْلُغها) مبلغين رسالة الله ، ناصحين لعباده ، حاملين إليهم مشاعل الهداية ومنافذ الحرية وأسباب خيرى الدنيا والآخرة ، يتحمل أحدهم فى سبيل إعلاء كلمة الحق والدين ، ما ينوء بالعصبة أولى القوة من الرجال الأشداء ، وَلَمْ يكن لهم من زاد يعدهم ، ولا حصن يشد من عزائمهم ، إلا (إيمانهم) بربهم وبرسالتهم ، وأنها لا بد أن تبلغ كل أذن ، وتدخل كل بيت لتقوم بها حجة الله على عباده — ولصلة هذه الكلمة بموضوع كتابى هذا ، وتوافق عنوانها بعنوانه ، أردت أن أثبت منها هنا ما فيه ذكرى وتبصرة — قال :

« فى مائة السنة الأولى لحياة الدعوة الإسلامية ، استطاع الإسلام أن يبلغ بدعوته ما بين الشرق والغرب ، وأن يضم إلى جناحه شعوباً وأمماً تمتد من المحيط الهادى شرقا ، إلى المحيط الأطلنطى غربا ،

وتلك حقيقة جديرة بالنظر والاعتبار ، فما عرف فى ديانة من الديانات أو مذهب من المذاهب ، أن بلغ من الذيوع والانتشار ما بلغه الإسلام فى تلك المدة القصيرة من حياة الزمن ، لقد كانت هذه الدفعة القوية الخارقة التى اندفع بها العرب من جزيرتهم إلى الشرق والغرب وإلى الشمال والجنوب أمراً عجباً ، وحدثاً فريداً ، لم يشهد له التاريخ مثيلا فى حياة البشر ، على تلك الصورة من الشمول والقوة ، ومع ما صاحبه من بناء شامل فى كل مرافق الحياة ، وتصحيح حكيم دقيق لموازين الفضيلة وقيم الأخلاق ، فقد عرف التاريخ (الاسكندر) وفتوحاته كما عرف (المغول) و (التتار) فى اندفاعاتهم العاصفة المدمرة و (نابليون) فى حروبه وانتصاراته ، ولكن هذه الصور كانت جميعها محدودة بالنسبة لسعة الفتح الإسلامى وامتداده ، كما كانت كلها أيضاً مطبوعة بطابع القهر والغلب حيناً ، والتشفى والانتقام والتخريب والتدمير فى معظم الأحيان ، أما زحوف الإسلام فكانت موازين حق وعدل ، كانت نوراً يبدد الظلام ، وأمناً يملأ القلوب ، وسلاما تسكن إليه النفوس ، وحياة آمنة مطمئنة تظلل الناس .

والذى عرف الإسلام ويعرف ما تنطوى عليه رسالته لا يعجزه أن يجد التفسير الواضح لهذا الفتح المبين ، الذى لم يكن يتحقق بغير الدعوة الإسلامية ولم يك يتم لغير الأمة العربية التى حملت الشعلة ، وجعلت من أرواحها ودمائها ومشاعرها زيتا يمد هذه الشعلة

ويغذيها لتظل فى اشتعالها وتوهجها — فالاسلام دعوة خالصة إلى الله ، غايتها توجيه الناس إلى هذا الخالق العظيم ، وإقامة الأخوة والمحبة والسلام بين بنى آدم جميعاً ، وهذه الدعوة من البيان والوضوح بحيث لا تحتاج فى فهمها إلى معاناة درس وبحث ... والذين تلقوا رسالة الإسلام وحملوا مشعلها كانوا من كرم المعدن وقوة النفس بحيث تجد مبادىء هذا الدين بينهم المجال الفسيح لإظهار نورها من كل ناحية (الله أعلم حيث يجعل رسالته) لقد عبأ الإسلام الأمة العربية بتعليمه ومبادئه ، وشحن قلوبها وعقولها بروحانيته الصافية ، فأحالها قوة قاهرة ، وجعل من أفرادها رسلا امتلأت قلوبهم بما امتلأت به قلوب الرسل من حرارة الإيمان ، ومشاعر الاصلاح ، فانطلقوا فى كل صوب كما تنطلق الشهب لا يمسكها ممسك ولا يعوقها معوق »

وبعد أن بينت الكلمة أهداف العرب من فتوحاتهم وأنهم كانوا أطباء الأرواح والعقول ، لا سفاكين ولا مسيطرين ، وأنهم بلغوا بدعوتهم الشرق الأقصى ... أندونيسيا ، والصين ، والفلبين ، وجاوه ، والهند ، وباكستان بقيادة (قتيبة بن مسلم) وغيره من قواد العرب وأبطالهم — ثم بلغت غربا إلى المحيط الأطلنطى ، إلى صقلية ، وأسبانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا وغيرها من شمال أفريقيا بقيادة (موسى بن نصير ، وطارق بن زياد) وغيرهما ...

بعد هذا ، مضت الكلمة تقول (والعجب من هؤلاء العرب الذين احتملوا فى سبيل الدعوة ما احتملوا من عناء وجهد ، حتى بلغوا إلى هذه المواطن ، وركبوا إليها كل صعب ، فما ردتهم البحار ولا صدتهم الصحارى ، ولا نال من عزائمهم وإيمانهم سموم الصيف ولا زمهرير الشتاء ، فكان لهم هذا

الغلب الظاهر والفتح المبين ... لم يدعوا التبشير بدعوة الإسلام لأبناء البلاد التى ضمتهم ، بل حملوا ذلك بأنفسهم وعدوه أمانة فى أعناقهم ، لتصل الدعوة على وجهها الذى تلقوه عن صاحب الدعوة النبي العربى ، وكان ذلك لا شك أصلا أصيلا فى الأسباب التى أنجحت الدعوة ومكنت لها . وقد يقع فى بعض الأذهان أن العرب قد انطلقوا بالدعوة الإسلامية إلى هذه الآفاق من أقصى الشرق والغرب ، واحتملوا هذه الجهود المضنية ، وخاطروا بالنفس والأهل والولد ، ليخلصوا إلى ما فى هذه البلاد من سعة الرزق ، ووفرة أسباب الحياة التى خلت منها صحراؤهم المقفرة الجدبة ؟ وهذا وهم كاذب .. يكذبه التاريخ ويدحضه الواقع ، فلو أن العرب الفاتحين كانوا طلاب دنيا لكان لهم فيما تحت أيديهم من ملك فارس والعراق ، وخيرات مصر والشام ، ما يملأ عليهم دنياهم غنى وجاهاً ، ولوجدوا فى هذه الآفاق الفسيحة العامرة كل ما يرضى طالب الدنيا من أسباب الجاه والسلطان ، ولقعد بهم ذلك عن ركوب الأهوال ، وملاقاة المهالك .. لا ، ولكنه « الإيمان » القوى العميق بالدين ، والاخلاص الأكيد الخالص للعقيدة ، فذلك هو الذى يخاطر من أجله بكل شىء ، ويضحى فى سبيله بكل شىء ، وذلك هو الذى يهون فيه الأهل والولد والنفس ، وذلك هو الذى يرتفع بالانسان عن مستوى الناس ، ويجعل له بين الأحياء حساباً خاصاً ، يرجح به ألوفا مؤلفة من الناس ، ويعدل به أمة من الأمم .

على هذا « الايمان » القوى ، بالدين والاخلاص الأكبر للعقيدة قام الاسلام ، وغمر نوره الآفاق ، وخلا به للمسلمين وجه الحياة كلها ، فكانوا

سادتهما ، وكانوا أحق بها وأهلها — والمسلمون اليوم فى أشد الحاجة إلى (هذا الايمان) وذلك الاخلاص ، ليعيدوا مجدهم السليب ، وليرفعوا دولتهم المتداعية ، وحسبهم أن يطلع فى كل أفق من آفاقهم فرد أو جماعة فى قلوبهم « إيمان » وفى نياتهم إخلاص .. وذلك إيذان بفجر جديد يطلع على الاسلام بصبح مشرق بالعز والسيادة » اهـ .

تربية

أقول : وليس هذا الصبر والمصابرة غريباً على قوم رضعوا من لبان « الإيمان » وأسسوا بنيانهم من أول يوم على الثقة فى الله وما أعده للمجاهدين من كريم المثوبة ، فكانوا يسلكون فى الحياة ، كأنهم يرون ربهم ، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم ، لم يكن إيمانهم وليد وراثة أو بيئة أو محاكاة عمياء ، وإنما نبت فى أرض القلوب بالإقناع والاقتناع ، وسقته مياه الآيات والمعجزات فآتى أكله بإذن ربه ولم يظلم منه شيئاً ، لقد سأل الرسول أحد أصحابه كيف أصبحت ؟ قال أصبحت بالله مؤمناً ، قال : إن لكل قول حقيقة فما حقيقة ما تقول ؟ قال : ما أصبحت صباحا قط وظننت إنى أمسى حتى أقبض ، ولا أمسيت وظننت أنى أصبح ، وكأنى بأهل الجنة فيها يتنعمون ، وبأهل النار فيها يتصايحون ، وكأنى أرى عرش ربى بارزاً لفصل القضاء . . فقال صلى الله عليه وسلم : قد عرفت ، فالزم . فهؤلاء الكرام قد عرفوا ولزموا فما أنكروا وما فارقوا ، وما زال ينبوع إيمانهم يمدهم بالروافد من البر ، ويضىء أمامهم مجاهل الحياة ، ويفتح لهم مغاليق القلوب ، وكم أراهم أعداؤهم كآبة المنظر فى الأهل والمال والولد ،

واضطروهم إلى وعثاء السفر (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا) بل قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) وقالوا (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا) ذلكم لأن القلب متى عمر بالإيمان الصحيح ، تحول إلى طاقة من القوة لا تصدها الجبال ، ولا تقهرها الرجال ، ولا تمنعها الأهوال ، فهو كما قال تعالى الكلمة الطيبة التى (أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) وما الأعمال والأقوال وسائر الأحوال الخاصة والعامة إلا أثر من آثار اتجاه القلوب ، وحركة الإرادات — ومن هنا كان نبى الإسلام يربيهم أولا على الإيمان ، ومكث اثنتى عشرة سنة لا يضيف إلى العقيدة تكليفاً آخر ، حتى إذا رسخت جذورها ، وثبتت أصولها ، وأشرقت بنور ربها ، نزلت بقية الشريعة من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وجهاد وأذان ... وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث ، ومواجهة الوثنية فى جميع العالم وفى شتى صورها ، كل ذلك حملوه مؤمنين ، وبلغوه مبشرين ومنذرين ، ولقد قال (عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه (أوتينا الإيمان قبل القرآن) أى تربينا على عقيدة الإسلام والإيمان بالله ، قبل أن نتعلم كتاب الله ، فالتربية لابد أن تسبق التعلم ، وإلا فهو علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، ودعاء لا يسمع ، وإن ما نعانيه اليوم من فساد فى الأخلاق ولا سيما بين الناشئة من الطلبة والتلاميذ ، أصله أننا علمنا قبل أن نربى ، فحرمناهم من (صمام) الأمن (ومحبس) الفرق (وفرملة) الشطط ، إن الأولين صلحوا بالإيمان أولا ، « ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

الإيمان والمؤمنون
فى كتاب الله وسنة رسوله

(ا) « من هم المؤمنون » ؟ قال تعالى :

١ — (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

٢ — (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاةَ ، ومما رزقناهم يُنْفِقُونَ ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

٣ — (والمؤمنون والمؤمناتُ بعضهم أولياء بعضٍ ، يأمرون بالمعروف وينْهونَ عن المنكرِ ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاةَ ، ويُطيعون اللهَ ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيزٌ حكيمٌ) .

٤ — (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويُقْتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة

والإنجيل والقرآن ، ومَنْ أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشِرُوا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوزُ العظيمُ ، التائبونَ ، العابدونَ ، الحامدونَ ، السائِحون ، الراكعونَ ، الساجِدونَ الآمِرُونَ بالمعروف ، والناهُونَ عن المنكرِ ، والحافِظون لحدُودِ الله ، وبَشِّر المؤمنين) .

٥ — (وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين).

٦ — (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يَرْتابوا ، وجاهدُوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون) .

٧ — (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) .

٨ — (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) .

٩ — (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليمٌ بالمتقين) .

١٠ — (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) .

١١ — (فلا وربكَ لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) .

١٢ — (إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

١٣ — (ذلكَ بِأنَّ الذين كفروا اتبعُوا الباطِلَ ، وأنَّ الذين آمنوا اتبعوا الحقَّ من ربهم ، كذلك يضربُ الله للناس أمثالهم)

وقال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن ، من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم) (المؤمن ألف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (المؤمن كله منفعة إن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وإن ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة) (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له) (ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلبِ وصدقه العمل ، وإن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، يقولون : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لوأحسنوا الظن لأحسنوا العمل) (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من ؟ قال : من بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم) (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، وليصل رحمه ، وليقل خيراً أو ليصمت) (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولا) قال سويد الأزدى : وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال (من أنتم ؟ فقلنا : مؤمنون . فقال : إن لكل

قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم ، وصدق إيمانكم ؟ فقلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس آمنا بها ، وخمس عملنا بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ، ونحن عليها للآن ، فإن كرهتها تركناها . فقال عليه السلام ، فاذكروا ما عندكم ، فقالوا : أما خمس الإيمان ، فهى أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، وأما خمس العمل ، فهى أن نشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن نقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلا ، وأما خمس الجاهلية ، فهى ، الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق والثبات عند الحرب واللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء) .

ومن عظم سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبإيمانهم النقى وبفطرتهم السليمة — قال لهم (أنتم حكماء علماء فقهاء كدتم أن تكونوا أنبياء ، وأنا أزيدكم خمساً ، ليتم لكم عشرون . إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه غدا زائلون ، واتقوا الله الذى إليه ترجعون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلدون) فانصرفوا وقد حفظوا وصيته وعملوا بها رضى الله عنهم أجمعين .

(ب) بشرى المؤمنين ، فى الحياة الدنيا ، ويوم الدين :

١ — وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرءوف رحيم — فمن

يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها — الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور — فأمَّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيما — ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض — إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب — يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرين يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون — وحرض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأساً وأشد تنكيلا — وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم — إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بإيمانهم — فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ، لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين . ثم ننجى رسلنا ، والذين آمنوا ، كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين — فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين — إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ، فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد — ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة — فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم — يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه — والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون .

وقال صلى الله عليه وسلم :

والله ليتمن هذا الأمر (يعنى انتصار الدين الإسلامى) حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون — بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى البلاد فمن عمل منهم عمل الآخرة من أجل الدنيا لم يكن له عند الله من نصيب — تقاتلون اليهود فتقتلونهم ، فيختبىء اليهودى تحت الحجر ، حتى يقول الحجر ، يا مؤمن هذا يهودى مختبىء لدىّ تعال فاقتله[1] — ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ، وإنما هو بشىء وقر فى قلبه ألا وهو اليقين — وبلغ من قوة إيمان عمر ، أن قال له الرسول : يا عمر ، ما سلكت فجاً ، إلاّ وسلك الشيطان فجاً آخر ، وإن الشيطان يفرمنك يا عمر ، وإن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه — وإنى أرى رب عمر يسرع دائماً فى هواه — أى يقضى حاجاته ويحقق آماله — وإن هذا لهو الفوز العظيم ولمثل هذا فليعمل العاملون .

---

(١) وهى إحدى معجزات النبوة المحمدية — فإن اليهود لايقاتلون إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، وذلك لجبنهم ، فلا يستطيعون مواجهة خصومهم صامدين ، بل يتوارون فى المخابىء وخلف الحصون ، ولكن المؤمنين يستدلون عليهم بآثارهم فيتبعونهم ويقضون عليهم ، ولعل الأحجار التى يختفون لديها تفسر أيضاً بحماية الدول الاستعمارية لهم وشدها أزرهم بالمال والسلاح .

رجال مؤمنـــون

ونساء مؤمنات

« مِن المؤمنِين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه فمنهم مَن قَضى نحبَه ، ومنهم مَن ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا »

« قرآن كريم »

صور سريعة العرض للإيمان المجسم

١ — أول المؤمنين :

« خطب صلى الله عليه وسلم فى مرضه الأخير قبيل وفاته ، فقال : أيها المسلمون ، من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى ، فليستقد منه . ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليشتمنى . ومن كنت أخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه . لا يقولن أحدكم ، إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله ، فإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى . ألاَ ، وإن أحبكم إلىّ من أخذ حقا كان له ، أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس . فقام إليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن لى عندك ثلاثة دراهم ، قال : أمَّا إنا ، لا نـكَذِّبُ أحداً ولا نستحلفه ، فِيمَ صارتْ لك عندى ؟ قال : تذكر يوم مر بك مسكين ، فأمرتنى أن أدفعها إليه ؟ قال : يافضل ، (ابن عمه) ادفعها إليه[1] » .

٢ — حاكم مؤمن :

أرسل عمر إلى أهل حمص ليكتبوا له أسماء الفقراء لديهم ليعطيهم ، فـكتبوا فى أول القائمة اسم حاكمهم (سعيد بن عامر) وتعجب عمر وسألهم ، فقالوا إنه فقير ، لأنه ينفق ما لديه على المساكين ويقول لهم : ماذا أصنع وقد أصبحتم فى حسابى ؟ لقد أضاعنى عمر . فقال عمر للوفد :

(١) لم ولن تظفر الديمقراطية بمثل هذا العدل النبيل .

والله ماأضعته ، ولـكنه أجهدنا معه . وكيف هو معكم ؟ فقالوا نعيب عليه أربع خلال ، لا يخرج إلينا إلا ضحى ، ولا نراه بالليل ، ويحتجب يوما فى الشهر ، ويصيبه إغماء بين حين وحين ، فعجب عمر وأعطاهم مالا حملوه إليه ليستعين به على حوائجه ، فوزعه على فقراء الجيش ، ثم أرسل له عمر — وسأله عن الأربع خلال ، فأجاب : يا أمير المؤمنين ، أما خروجى ضحى ، فليس لى خادم ، وزوجتى مريضة ، فأنا أعمل لها عملها بعد الفجر حتى يضحى النهار ، وأما احتجابى بالليل ، فإنى جعلت النهار للناس والليل لله ، وأما اليوم فى الشهر فليس لى إلا ثوب واحد أغسله فى هذا اليوم حتى يجف فألبسه ، وأما الإغماء فـكلما تذكرت « الشهيد خبيب بن عدى » حين قتل وأنا يومئذ كافر وقد شهدت مقتله ، ندمت أن لم أكن أسلمت يومئذ حتى أدفع عنه السوء . فـكان عمر كلما تذكر « سعيدا » هذا ، بكى وبكى[1] .

٣ — جندى مؤمن :

أحد أفراد الجيش الإسلامى بالقادسية ، مسكين فقير ، عثر على حق به جواهر غالية ، فدفعه إلى قائده ، فعجب من أمانته مع فقره وقال له : ما اسمك حتى أذكرك لعمر فيعطيك ويثنى عليك أمام الناس ؟ فغضب الجندى المؤمن الباسل ، وقال لقائده : لو أردتُ عمر ، مارأيته أنت ولا عمر ، ولـكنى أردت وجه ربى وربك ورب عمر . فدعا له بخير وأرسل الجواهر بحقها إلى عمر ، فلما وقف على الخبر رحمه الله قال : أشكر الله أن

---

(١) حكام ذكرهم دواء ، وسيرتهم شفاء .

جعل فى جيشى مثل هذا الأمين ، فقال له أحد الحاضرين : ياأمير المؤمنين « عففتَ فعفوا ، ولو رتعتَ لرتعوا[1] » .

٤ — مؤمنان ، من حفظة القرآن

الأول : خبيب :

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم — بعض حفظة القرآن إلى عُضَلَ ليعلموهم كتاب الله بناء على طلبهم ، فخانوهم وقتلوهم ، وكان فيهم خبيب ابن عدى ، وزيد بن الدثنة ، أسروهما ، وانتظروا عليهما ليشترك فى قتلهما كل من له دم عند المسلمين ، فأمّا خبيب فأسره الحارث بن عامر ، وأودعه بيت ماوية بنت حجير ، فراعها إيمان خبيب ، وكانت لا تراه إلا مصليا أو صائما ، وشاهدته مرة يأكل قطف عنب وما بمكة يومئذ عنب فسألته ، فقال : هو من عند الله — وقد أبى أن يأكل مدة الأسر مما لم يذكر اسم الله عليه ، فكان يتناول اللبن ، ويوصى صاحبه (زيدا) بالصبر والإيمان ، وكان يقرأ القرآن فيجتمع عليه النساء ويبكين تأثرا ، ولم يتزلزل إيمانه شعرة ، وحينما حددوا ميقات قتله حمد الله كثيرا ورضى بقضاء الله فأرسلوا إليه يساومونه فى إيمانه ، إن كفر بمحمد ليطلقن سراحه ، فرفض بعنف وقال الموت أدنى مما تتوهمون ، ثم أنشد يقول :

إلى الله أشكو غُربتى بعد كُربتى   وماجمعَ الأحزاب لى عند مصرَعى

---

(١) نعم فإنه لا إيمان لمن لا أمانة له وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

فذو العرش صبّرنى على ما أصابنى ... فقد قطّموا لحمى وقد ضلّ مطمعى[1]

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه[2] ... وقد ذرفت عيناى فى غير مدمع

وما بى حذارُ الموتِ إنى لميِّتٌ ... ولكن حذارى حرُّ نارٍ تلفّعِ

ولستُ بمبدٍ للعدوِّ تخشُّعاً ... ولا جزَعا إنى إلى الله مرجعى

ولست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أىِّ جنبٍ كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذاتِ الإله وإن يشأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ[3]

فأخذوه إلى مكان يسمى « التنعيم » ليقتلوه ، فقال لهم دعونى أصل ركعتين ، فصلاهما تامتين وقال : والله لولا أنى أخشى أن تقولوا خائف من الموت لأطلت الصلاة — ثم صلبوه على العمود فاستقبل القبلة وقال « الحمد لله الذى جعل وجهى قبلَ بَلْدةِ رسوله وقبلته التى ارتضاها لعباده المؤمنين ، ثم قال : اللهم بلغ رسولك منى السلام وبلغه مايصنع القوم بنا — اللهم إنى لا أرى هنا حولى إلا وجه عدو ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا » فسقط أبو سفيان على الأرض خشية أن تصيبه دعوة خبيب المظلوم ، ولم يكن أبو سفيان أسلم يومئذ ، ثم قتلوه فلقى الله بطلا مؤمنا كريما ، لم تلن له قناة — وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمدينة يغمى عليه ثم يفيق ويقول : (وعليك السلام ياخبيب

(١) تاه رجائى فى النجاة من أيدى الكافرين .

(٢) ساوموه على الكفر ليتركوه والموت أقرب مما طلبوا .

(٣) يبارك فى البدن الشهيد فيخلد ذكراه وإن تقطعت أوصاله فسيرته منار المجاهدين وقد استجاب الله رجاءه فابتلعته الأرض لتحفظه منهم كما سيأتى .

ورحمة الله وبركاته) فيسألونه : فيقول : قتلته قريش ، وأرسل له فوارس يحضرون جثته ، فوجدوها لم تتغير والدم بلونه يوم استشهد وله رائحة المسك ، مع مضى أربعين يوما على الوفاة ، وقد ثبت أنهم كانوا كلما طعنوه طعنة برمح أو بسيف قال : (لا إله إلا الله) رضى الله عنه فى المؤمنين — وهذا هو الذى حدا « سعيد بن عامر » حاكم حمص أن يغمى عليه كلما ذكر خبيبا كما ذكرنا[1] ، ومن إكرام الله له أن الكفار تيقظوا للفوارس حينما أخذوه ، فأسرعوا وراءهم ، فوضعوه على الأرض ليتخففوا ولينجوا بأنفسهم من موت محقق ، ولكن الله العليم بالمجاهدين لم يَدَعْهُ طرفة عين على ظهر الأرض ، بل ابتلعته من فورها ، إبعاداً لجسمه من الامتهان وأن يعبث به الفجرة ، ولذلك سمى « بليع الأرض » .

« المؤمن الفارس » وأما « زيد » بن الدثنة فقد ساوموه على إيمانه فرفض — فصلبوه ، ثم قال له أبو سفيان ، يازيد : أسألك بالله ، ألاَ تحب أن تكون أنت الآن معافى فى أهلك ومحمد هنا عوضاً عنك ، فغضب « زيد » أشد الغضب — وقال « والله يا أبا سفيان ، ما أود أن أسلم لأهلى وعيالى ونفسى ونبيي يصاب بمثرة فى إصبعه ، فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحد كحب أصحاب محمد محمداً ، وكان أحد الشعراء العرب ، واقفاً أمام هذا المشهد الرائع ، مشهد الإيمان الواعى والقوة فى الله ، فقال :

أسرت قريش مسلماً فى غزوة   فمضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم   ولك النبى فدى من الاتلاف
فأجاب كلا لا سلمت من الردى   ويصاب أنف محمد برعاف

(١) فى رقم (٢) فى هذه الصور .

وهكذا كان الإيمان وعمله فى القلوب والأرواح ، ولم تستطع الجموع المجمعة ، ولا الترغيب ولا الترهيب أن ينقصه من مبدئه ذرة — فحلاوة الإيمان أزالت الآلام ، بل صيرتها آمالا واسعة فى جنب الله ، ووسيلة للفوز برضاه ، إن الفرق البين بين العزة والذلة هو الإيمان ، متى حل فى القلوب ، حول جدبها خصباً ونماء (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس ، لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين) — ولم ولن يتم لأى فرد أو أية أمة ، نجاة ولا انتصار ، إلا بهذا الإيمان الحق — قال تعالى (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين) وصدق الله العظيم .

٥ — امرأة مؤمنة مجاهدة :

كانت الخنساء بنت عمرو السلمية : وهى كافرة لا تصبر على بلاء ، فلما قتل أخواها « معاوية ، وصخر » جزعت عليهما أشد الجزع ورثتهما رثاءا حارا بزفرات مؤلمة ، حتى كانت تقول فى حزنها العميق :

يُذكرُنى طلوعُ الشمس صخرا　　　وأذكره لكل مغيب شمس
فلولا كثرة الباكين حولى　　　على إخوانهم لقتلت نفسى

هذه المرأة التى أوشكت على الانتحار من عظم وقع المصاب عليها ، أنظرها وقد أشرقت شمس الإسلام فى قلبها كيف تحولت إلى طاقة من الجلد والثبات والرضا ، حتى إن أبناءها الأربعة استشهدوا فى موقعة القادسية (وشتان ما بين إخوة ، وأبناء) فماذا صنعت ؟ إنها أولا قبل

المعركة حرضتهم على القتال ، ونهتهم عن الفرار ، وقالت لهم فى توجيهها البالغ « يا بَنِىَّ ، تالله إنكم لبنو أب واحد ، وبنو أم واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحت أخوالكم ، وقد أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين فإذا أتيتم الحرب فخوضوا غمارها واندفعوا فى أتونها ، وكونوا أول المبارزين وأمام الثابتين » .

هل رأيت أثر الإيمان فى قلب الأم الرءوم وكيف أصبحت بفضله قائدا يشعل الحماس فى نفوس جنوده البواسل ؟ فما كانت النتيجة ؟

أصبحوا جميعا وباشروا القتال كأحسن ما يكون المجاهدون ، وقال أولهم يحرض إخوته الثلاثة ، ويذكرهم نصيحة أمهم :

يا إخوتى إن العجوز الناصحة   قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

بمقالة ذات بيان واضحة   وإنما تلقون عند الصابحة

من آل ساسان كلابا نابحة[1]

فبرز أخوه الثانى ، وأدلى بدلوه فى الحماس ورفع الروح المعنوية لإخوته تنفيذا لأمر أمه ، وإعلاء لكلمة الله ، وأنشد :

إن العجوز ذات حزم وجلد   قد أمرتنا بالسداد والرشَد

نصيحة منها وبرا بالولد   فباكروا الحرب حماة فى العدد

فقام ثالثهم ، يسهم فى هذا الجهاد الرفيع ، وأنشد :

والله لا نعصى العجوز حرفا   نصحا وبرا صادقا ولطفا

---

(١) يقصد التهوين من شأن الكفار الذين سيحاربونهم ويصفهم بأنهم كلاب .

فبادروا الحرب الضروس زحفا　　حتى تلفوا آل كسرى لفا[1]

وهنا قفز ختامهم « الرابع » وأنشد :

لَسْتُ لِخَنْسَاءَ ولاَ لِلأَخْرَمِ　　ولا لعمرو ذى النضال الأقدم[2]

إن لم أره فى الجيش خنس الأعجمى　　ماض على الهول خضم حضرمى

وهكذا ، انقلب هؤلاء الأسود الأربعة بإيمانهم فوارس الميدان ، وحماة الذمار ، وقد حرصوا على الشهادة ، حتى جاءتهم كراما مقبلين غير مدبرين ، وجاء أمهم النبأ السار « يا خنساء ، استشهد بنوك الأربعة » وكانت الدنيا توقن أنها ستموت حتف أنفها عندما تعلم نبأ بنيها ولكن الإيمان بالله شىء آخر ، اسمعوها تنطق فى فم الزمان بكلمات الخلود والمجد والبطولة « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الإسلام ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته[3] » ومن هنا لا نعجب إذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصت لشعرها ويسر ويقول « هيه يا خناس ويومئ بيده » فيستنشدها ويعجب ، وكانت تزور عائشة أم المؤمنين فتكرمها ، وجاء عمر ، فزاد فى إكرامها ، وأجرى عليها أرزاق بنيها الأربعة الذين استشهدوا ، حتى قبض رضى الله عنه ، وذلك كله راجع إلى الإيمان ، الذى خلق من أصحابه رجالا ، كالملائكة يمشون على الأرض مطمئنين .

---

(١) حتى تحيطوا بهم وتفنوهم .

(٢) يقول لا يصح أن أنسب إلى أمى الخنساء وأبى عمرو أصحاب المجدان لم أر سيفى يبتار الأعناق المشركين .

(٣) (ولو كان النساء كمثل هذى　　لفضلت النساء على الرجال)

٦ — وقت المؤمن :

قال على (من أمضى يومه ، فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصَّلَه ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه) .

هكذا الإيمان ، يبنى الرجال دائماً ، ويحولهم إلى قوة دائبة منتجة ، لا تعرف للكسل سبيلا .

٧ — عدل ووفاء :

(ا) كتب أحد حكام المأمون إليه « إن الجند قد شغبوا ونهبوا ، فقال له فى رد كتابه « أيها الحاكم ، اعدل بينهم فلا يشغبوا ، ووف لهم فلا ينهبوا » .

(ب) وسأل عمر بن العزيز واليه على إحدى البلاد ، قائلا : كيف تركت الناس ؟ قال (يا أمير المؤمنين الحمد لله ، تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مجبوراً ، ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً) فانفرجت أسارير وجه عمر مستبشراً ، وقال : الحمد لله ، لو لم تتحقق لأمتى خصلة من هذه الخصال الأربع ، إلا يبتر عضو من أعضائى ، لفعلت طيبة به نفسى[1].

٨ — نظافة المؤمن :

كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، أطيب ما يكون ، وأنظف

---

(١) أى أن شعبه صار الحاكم كالمحكوم ، فلا ظالم ولا مظلوم ، ولا مستغل ولا محروم ، وهذا هو الشعب المثالى .

ما يكون ، فى كل أحوالهم ، ولم يمنعهم الفقر ، أن يكونوا أهل جمال ، ولقد قال بعضهم لنبيه ، يا رسول الله (أَمِنَ الكبر أن يكون نعلى نظيفاً ، وثوبى نظيفاً ؟) فقال الرسول — لا — إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس (احتقارهم) ثم قال ، إن الله جميل يحب الجمال ، تجملوا ، حتى تكونوا كالشامة بين الناس ، إن هذا الدين بنى على النظافة ، ولن يدخل الجنة إلا نظيف ، وليكن أحدكم كالنحلة ، أكلت طيباً وامتصت رحيقاً ، فأخرجت للناس شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء) ومن هنا كان شعار الإسلام دائماً النظافة فى كل شىء (فى الضمير ، واللسان ، واليد والثوب والبدن ، والمطعم والمشرب ، والمسكن ، والتعامل والمسلك) وقد جعل علماء الإسلام لهذا السبب أول أبواب الفقه « الطهارة » وفى الحديث « مفتاح الجنة الصلاة ، ومفتاح الصلاة الطهور ، والطهور شطر الإيمان » قال تعالى (إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين) ومن حكم أبى عبد الله الشافعى (من نظف ثوبه ، قل همه ، ومن طاب ريحه ، زاد عقله) .

٩ — عالم مؤمن :

تقابل « سفيان الثورى » مع « المنصور » فى موسم الحج ، فقال له : ارفع إلينا حاجتك ، فقال سفيان المؤمن « اتق الله ، فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً » فخجل المنصور ، ولكنه احترم العلم ومضى يعيد السؤال : يا سفيان ، ارفع إلينا حاجتك . فقال : إن ملككم هذا وصل إليكم بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناءهم الآن يموتون جوعاً ، فاتق الله وأوصلهم بحقوقهم ، فطأطأ رأسه ، ثم أعاد السؤال : ارفع إلينا حاجتك . فقال

سفيان : إن عمر بن الخطاب حج ثم سأل خادمه ، كم أنفقنا فى حجنا ؟ فقال الخادم : بضعة عشر درهما ، فقال عمر : يا ألله ، لقد أجحفنا ببيت مال المسلمين ، وإنى أرى أموالا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال » ومع هذه الشدة من سفيان فقد كان المنصور يعلم حسن قصده وبراءة ضميره فما صنع معه إلا التقدير والإجلال[1].

١٠ — قاض مؤمن :

رفع يهودى إلى قاضى المسلمين خصومة بينه وبين على بن أبى طالب ، فحضرا مجلس القضاء ، وجلس على ، فأمره القاضى أن يقف بجوار خصمه اليهودى فأطاع راضياً : ورأى القاضى فى وجهه شيئا ، فسأله أغضبت من أمرك بالقيام ؟ والإسلام يأمر بالمساواة بين الخصوم فى اللفظ واللحظ والمجلس ، فقال على سبحان الله — لا — إنما حزنت لأنك ناديت خصمى باسمه وناديتنى بكنيتى (يا أبا الحسن) ففضلتنى عليه ، فعجب اليهودى من عدالة الإيمان ، وأقر بالحق وانصرف مغتبطاً .

١١ — مؤمن وحده يتحدى قوى الطغيان مجتمعة :

وقال فرعون : « ذَرونى أقتلْ موسى ، وليدعُ ربَّه ، إنى أخافُ أن يبدِّل دينكم أو أنْ يُظهرَ فى الأرض الفساد ... وقال رجلٌ مؤمنٌ

---

(١) (صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء) وسنة الإسلام وجوب التعاون بين الحاكم والعالم وأعنى بالعالم كل من علم خيرا أو رأى مصلحة لأمته فعليه أداء النصح فى رفق ، وعلى الحاكم قبول التوجيه فى تواضع ورضا ، وهذا هو التجاوب الكريم .

من آل فرعون يكتمُ إيمانه : أتقتلون رجلا أنْ يقولَ ربىَ الله ، وقد جاءكم بالبينات منْ ربكمْ ... يا قوم لكمُ الملكُ اليومَ ظاهرين فى الأرض ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟ ، قال فرعون : ما أُريكمْ إلاَّ ما أرى وما أهديكم إلا سبيلَ الرشاد ، وقال الذى آمنَ ، يا قوم إنما أخاف عليكم مثلَ يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولُّونَ مدْبرينَ ، مالكمْ من الله عاصم ، ومن يُضلل الله فما له من هاد ... وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب ، ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ، تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ، لا جَرَمَ أنّ ما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن مردّنا إلى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار — فستذكرون ما أقول لكم وأفوضُ أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ، فوقاه الله سيئاتِ ما مكروا ، وحاق بآلِ فرعون سوء العذاب .

نعمة الله على العالمين

بمولد النور المبين

قال تعالى : « لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المؤمنينَ إذْ بَعثَ فيهم رسولا من أنفسِهم يتلُو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبل لفى ضلالٍ مُبين » صدق الله العظيم . وتشتمل الآية على أربعة أبحاث :

(١) فضل الله علينا بإرسال نبي الهدى . (٢) الرسول بشر مثلنا .
(٣) مهمة الرسول فى إنقاذ العالم . (٤) حالة العالم قبل بعثته .

« التفصيل »

١ — أكبر آلاء الله على عباده ، إرسال رسوله هاديا إلى طريق الله ، مبينا الحلال والحرام ، موضحاً سبيل الغى والرشاد . وهى أعظم من جميع نعم الدنيا سواء منها نعمة المال ، والعيال ، والعافية ، ومحبة الخلق ، وذيوع الصيت ، ومظاهر الترف ، والأبهة ومباهج الحياة ، فكل هذه النعم تصغر وتتضاءل بل تتلاشى بجانب نعمة إرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله رحمة للعالمين . وإن عقول المفكرين وحضارة المتحضرين كل ذلك لم يكف أبداً لجلب سعادة البشر وتآخيهم وتعاونهم . بل زادوا جفاء ووحشية وتنافساً على هضم الضعيف وظلم البرىء . وكلما تقدمت بهم المدنية حسبوها كل شىء وأنها تغنى عنهم من بلاء الله

« وكذبوا » فالرسالة جاءت لتلطف الجو المختنق بدخان الجبروت القاسى ، ولترفع من كرامة المغلوبين المضطهدين ، وتضع من غطرسة المتكبرين فى الأرض بغير الحق ، وتطهر العقائد والمعاملات من دنس الخرافات والعدوان . وما فائدة المال والعيال والصحة بلا توفيق ولا هداية ؟ إن صاحبها يكون حينئذ كحيوان أعجم لا يدرى كيف يعيش ؟ ولا لم خلق ؟ ولا إلى أين يصير ؟ وإنما كانت منة الله فى الآية على المؤمنين وحدهم لأنهم هم الذين تفتحت بصائرهم للنور فانتفعوا به ، مع أن نور الله لم يحجب عن أى مخلوق .

٢ — اقتضت حكمة الله تعالى أن يختار الرسول من البشر ، له كل خصائص البشر وطبائعهم ، يأكل ويشرب ويتزوج ويمرض ويموت ، يعرفون نسبه وبيته الذى منه نشأ حتى يستطيعوا الجلوس إليه والتفاهم معه والاطمئنان إلى صدقه وأمانته . ولو كان من صنف الجن أو الملائكة لما استطاع أحد أن ينتفع به لوجود الوحشة والنفرة والانزعاج من غير الجنس (وَلَوْ جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلا وَلَلَبَسْنَا عليهم ما يَلْبِسُون) قال تعالى (قُلْ إنَّما أنا بشرٌ مثلكُم يُوحَى إلَيَّ إنَّما إلهُكم إلهٌ واحِدٌ) وقال سبحانه (لقد جاءكم رسولٌ منْ أنفسِكم) فهو إنسان مفضل على كل الناس وبشر امتاز باختيار الله له وتعليمه إياه (وعلَّمَكَ مالم تكنْ تَعلم وكان فضلُ الله عليك عظيما) .

٣ — كانت مهمة الرسول كما فى الآية لفت الناس إلى آيات الله المتلوة فى القرآن والظاهرة فى الكون يعلمهم مافى هذه الآيات من أسرار وحكم وأحكام ويقف بهم عند حد الحكمة ، وهى مكان الشىء بالضبط بلا زيادة

ولا نقصان لأن الحكمة هي إحكام الشيء في موضعه وزمانه ومناسبته (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) ويعمل الرسول دائماً على تربية نفوس الأمة وتزكيتها من شوائب الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، ويعودهم على التوحيد الخالص والعبادة السليمة والمعاملة الحسنة والأخلاق المرضية من الإخلاص والصدق والأمانة والعفاف والوفاء والإخاء والتعاون على الطيب والخير وأمثالها من كل ماسماه الإسلام معروفاً حتى خلق منهم خير أمة أخرجت للناس ، وقال « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

٤ — حكمت الآية على الناس بأنهم كانوا قبل بعثة الرسول (في ضلال مبين) ذلك لأنهم كانوا يأكلون الميتة ويعبدون الأحجار والأشجار ويقتلون الأنثى مخافة الفقر والعار ويشربون الخمور ويشهدون الزور ويقترفون الميسر ويشعلون نار الحرب لأتفه الأسباب ، وقد تدوم سنين عدداً ، ولا يعطون الميراث للصغار ولا النساء ، وكان فيهم الزنا وأكل مال اليتيم وبخس الكيل والميزان ، والخرافات وأضاليل الأوهام .. إلى آخر ماحكى الله عنهم وسجل التاريخ في وصفهم فجاءهم سيدنا محمد فأخرج منهم أمة كريمة الخلق قوية الاتحاد بعيدة عن السفاسف طالبة لمعالي الأمور ، وما من شيء يستحسنه العقل إلا وقد أمر به النبي ولا شيء يستقبحه العقل إلا وقد نهى عنه لأن الإسلام (فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) .

فلنشكر الله على نعمته بالرسول علينا ولندفع ثمن النعمة طاعة لله وخضوعاً ، وسجوداً وركوعاً ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، والله ولي التوفيق » .

مكارم الأخلاق

أساس الحياة الكريمة

وإنك لعلى خلق عظيم :

١ — لا قيمة للحياة إلا إذا تعامل أهلها فيما بينهم بالمعروف وتخلّقوا بجميل الصفات حتى تتحقق بينهم الثقة والتعاون والاخلاص والصدق ، ومن غير الأخلاق يصبح الحيوان أولى بالاحترام من الإنسان لنفعه وقلة أذاه ولفقده العقل الذى يهديه سواء السبيل ، ولا يمكن لأخلاق طيبة أن توجد على صورة كاملة من غير إرشاد الدين — فالدين هو الوحى الإلهى النازل لإنقاذ الناس من الضلال وهدايتهم إلى سبل الخير والحق ، ومن هنا بيّن نبىّ الإسلام مهمته التى كلّفه الله بها فقال « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

كان صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه المثل الأعلى والنموذج الكامل لسائر العالمين ، حتى شهد له المنصفون من أعدائه بأنه « الصادق الأمين » — وقالوا — ما جربنا عليك كذبا . وكان فى رجاحة عقله وسداد رشده ومضاء عزائمه وحسن تدبيره للأمور بالمحل الأسنى ، حتى استطاع أن يخلق من العرب المتقاتلين أمة متراحمة متحدة (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، وخلق من القوم الأميين الجاهلين أمة سبقت سواها فى مضمار العلم والعمل والتعليم والتعلم ، ومن البدو الجفاة الغلاظ أمة واعية متينة الخلق سادت العالمين وصارت (خير أمة أخرجت للناس) .

٣ — الخادم دائماً يعرف من صفات سيده ومخدومه أكثر من غيره لدوام مخالطته ومشاهدته — فاسمع شهادة الخادم الذى خدم الرسول الأكرم وهو أنس بن مالك يقول (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى مرة لم فعلت أو لِمَ لَمْ تفعل وإن عاتبنى أحد من أهله قال — دعوه وما قدر الله من شىء يكون ، وقال لى مرة يا أنس إذهب إلى كذا فقلت لا أذهب وفى نفسى أن أذهب ثم خرجت فوقفت أنظر إلى صبيان يلعبون وخرج هو ورائى فلما رآنى أمسك بقفاى وهو يضحك) . أما حلمه فقد قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ويأتيه أسوأ الاعراب خلقاً فيجذبه من ردائه بعنف حتى يؤثر فى عنقه ويقول « أعطنى يا محمد من مال الله الذى عندك فإنك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبيك » فانظر الرد الكريم « المال مال الله وأنا عبد الله » ثم أمر له بعطاء . وكان مع هـذا الحلم شجاعاً مقداما أوتى من قوة البدن وصلابة العزيمة ما يعجز عنه أبطال الرجال ، فر أصحابه فى غزوة حنين وقد ثبت وحده على بغلته يسرع بها نحو الأعداء وهو يقول « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وصارع ركانة بطل العرب الرياضيين فهزمه وأسلم ، أما كرمه فكان بحراً فى العطاء وسأله مسكين من قوم كافرين فأعطاه غنماً بين جبلين فذهب إلى أهله وقال — أسلموا يا قوم فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر أبداً وما سئل مرة وقال لا . وما غضب مرة لذات نفسه إلا أن يعتدى على دين الله فيغضب لله حتى

ينتصر لحرماته ، ماضرب بيده أحداً ولا خادماً ولا امرأة إلا أن يجاهد بها في سبيل الله وما صرح في النصيحة بأسماء أشخاص بل كان يعمّم ستراً عليهم ويقول « إن أقواماً يفعلون أو يقولون كذا » ولم يمد قط ركبتيه أمام جليسه وكان إذا ذكر جلساؤه الدنيا ذكرها معهم أو الطعام ذكره معهم أو الآخرة ذكرها معهم يعاملهم كأحدهم حتى كان يجمع الحطب لطهي الطعام ويقول « إن الله يكره أن يرى الرجل متميزاً عن أصحابه » وكم من مرة أوذى وأهين من أعدائه فما شتم ولا انتقم بل ما دعا عليهم إنما قال « بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً ، اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

وكان عليه الصلاة والسلام رزيناً هادئاً مقتصداً في كل شئونه فكان ضحكه التبسم لا يرفع به صوته وكذلك كان بكاؤه بلا صوت ، أما كلامه فكان فصلا بيّنا واضحاً بحيث لو أراد جليسه أن يعدّه لأحصاه لا يسرده ولا يسرع وكذلك كان في مشيه لا يبطىء ولا يتهور ، وكان طويل الصمت إلا عن ذكر الله وتلاوة كتابه وتبليغ رسالته وأمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ومع منزلته العالية فما كان يستنكف أن يحدث الأمة في شأنها ويأكل مع المرأة والخادم ويجالس المساكين ويعاون أهل بيته في عملهم كما كان لا ينزع يده من مصافحه أو ينصرف من أمام محدثه حتى يبدأ الآخر ولما ارتعد الداخل عليه من الهيبة طمأنه بقوله « هوّن على نفسك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » ومن هنا حق له أن يفتخر بهذه الأخلاق الرقيمة ويقول « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ! لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ! .

١ ـ نساء مؤمنات

بكت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ذات يوم فقال صلى الله عليه وسلم : مايبكيك ياعائشة ؟ فقالت . ذكرتُ النار فبكيتُ ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا . عند تطاير الكتب حتى يعلم كل إنسان أيؤتى كتابه بيمينه أم بشماله . وعند وضع الميزان حتى يعلم أيخف أم يثقل وعند الصراط حتى يعلم أيجوز أم يسقط) .

* * *

١ — أم المؤمنين عائشة هى الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات لم يتزوج النبي بكراً سواها وكانت كريمة بمالها على الفقراء تالية لكتاب الله ليلا ونهاراً حليمة طيبة الخلق عليمة بدينها . وهى هنا تضرب المثل الصالح للمرأة الصالحة التى تخاف عذاب الله وتذكره فى كل حركة وسكون وليست من الغافلات المعرضات عن عمل ماينفعها فى دنياها وأخراها كانت رضى الله عنها تأكل من قطف عنب ولم يبق منه سوى حبة فجاء مسكين فدفعتها إليه فعجب وقال (بيت نبوة وحبة عنب) استقلالا لها فقالت أم المؤمنين ويحك يامسكين ، كم فيها من ذرة ؟ تشير إلى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) والحبة بها آلاف الذرات — وذات يوم أساءت خادمتها إساءة تستحق العقاب فكل مافعلته معها سيدتها عائشة أن قالت (لله در التقوى لم تترك لذى غيظ شفاء) .

٢ — هذا الحديث يبين عناية المرأة بأمر دينها وتعرفها لأحكام الإسلام

وإيمانها بما أخبر به القرآن والنبي من أمور الغيب وخاصة النار التي أعدها الله للعصاة — وهي هنا تخاف وتبكي لا على مال ضاع أو عدو شمت أو مرض نزل بها أو دنيا فاتتها وإنما تبكي لأنها سمعت أوصاف العذاب في النار وتستفسر هل يتذكر الخليل في هذا اليوم خليله والأهل أهلهم ، ويجيبها الرسول بأن هناك أماكن لا يستطيع أي مخلوق أن يتذكر إلا نفسه بل ويذهل عن أحب الخلق لديه وأقربهم إليه كما قال (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أما بعد النجاة من هذه المصاعب الثلاثة والفوز برضوان الله فهناك تلاقي الأحباب ومجالسة الأصحاب (إخواناً على سرر متقابلين) قال تعالى (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) .

٣ — أول هذه المواطن التي تشغل كل إنسان بنفسه تطاير الكتب . والكتب هي الصحائف التي ملأها الإنسان في دنياه بالأعمال والأقوال وسائر الأحوال من طاعة ومعصية فهي أشبه بالسجلات التي يدون فيها التجار حساباتهم من وارد وصادر ورصيد ، وكملف خدمة الموظف الذي يثبت فيه كل شئونه ليحاسب عليها بعد ترك الخدمة . ومن عدالة الله أن وكل بنا ملائكة كراما كاتبين يعلمون كل شيء عنا (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال تعالى : (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) .

٤ — ثاني مواطن الأهوال . نصب الموازين . والموازين من عالم الغيب نؤمن بها ولا نبحث عن كيفيتها . ومضمونها أن لكل إنسان بحسب أخلاقه

وأعماله وعقائده وزنا وثقلا وخفة . وكما أن موازين الدنيا تفصل في الماديات والأحجام والأجرام فميزان الآخرة لا يترك شعرة واحدة إلا أتى بها قال تعالى : « وَنَضَعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين » وقال : « ووجدُوا ما عمِلُوا حاضِراً ولا يَظلِمُ ربُّك أحدا » .

٥ — ثالث مواطن الأهوال المرور على الصراط . وهو ممتد على جسر جهنم يجوز عليه المؤمنون الموفقون إلى دار السلام ويسقط من عليه الطغاة الفجرة العصاة . وهو مرتبط بصراط الإنسان في الدنيا وسلوكه مع الله ومعاملته للناس فلكل إنسان في حياته صراط وطريق يسعى فيه وعلى حسب هذا الطريق يكون صراط الآخرة . وكلما كان السير في الدنيا معتدلا والذمة نظيفة والعقيدة سليمة والخلق عظيما والعبادة لله مؤداة . كان صراط الآخرة كذلك سهلا لينا يمر عليه كالبرق الخاطف . والعكس بالعكس . قال صلى الله عليه (من بَطَّأَ بِهِ عملُهُ لم يُسْرِعْ به نَسَبُه) ومعناه أن من كان ردىء العمل سيء الخلق بطيء الاقبال على الله لم ينفعه ماجمع من مال أو عيال أو حسب أو نسب فإن هذه المظاهر مهما راجت في موازين الناس الدنيوية ورفعت من شأنهم في نظر الغافلين فإنها ليست بشيء عند الله إذا جردت من العمل الصالح قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا) .

(٥) لعل في هذا الحديث عبرة لنسائنا اللواتي شغلهن التبرج الحرام عن الله وانصرفن عن أداء الصلاة وحفظ العرض وتقوى الله إلى التشاغل بالأزياء ومالا ينفعهن في دنيا ولا ينجيهن في آخرة . ومن الله التوفيق .

٢ — أم سلمة

(١) هجرتها . (٢) مع المجاهدين . (٣) تقدير العظماء لها .
(٤) نزول الوحى فى بيتها . (٥) عزتها وكرمها .

التفصيل

١ — هى هند بنت أبى أمية وإحدى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وممن رزقوا مع الإيمان العقل المستنير والجمال البارع والعزة بالحق والصبر لله على البلاء — تزوجت أولا عبد الله بن عبد الأسد وهو الفارس المؤمن وابن عمة رسول الله وأسلما معا فى الأولين السابقين . وحينما اشتد أذى المشركين عليهما فرّا بدينهما إلى الحبشة مع المهاجرين ، وولدت فيها ابنها سلمة . ثم عادت إلى مكة مع زوجها لعلهما يجدان متنفسا بها فما صادفا إلا العنت والإرهاق ، فحاولا الهجرة ثانية إلى المدينة المنورة ، وقد تمكن زوجها من الوصول سالما ، أما هى فتنازع عليها أهلها وأهل بعلها هؤلاء يريدون أن تلحق بزوجها وأولئك يمنعونها واشتد التقاتل حتى انخلع ذراع طفلها سلمة وهى صابرة راضية . ومكثت عاما كاملا تحترق بنار البعد عن زوجها المهاجر وعن فلذة كبدها الكسير حتى رزقت بمن شفع لها فتركت لتلحق بزوجها وأعطيت ابنها كذلك . وفى هذا السفر الطويل

الشاق مع الانفراد والوحشة وظروف الفتنة والأعداء المتربصين قيض الله لها شهما عفّا هو « عثمان بن طلحة » الذى أسلم علم الحديبية ، ولما وجدها وحدها مهاجرة إلى الله ورسوله قال « مالك متركـ » ثم حماها أجمل حماية ، حتى أقسمت هى بالله أنها مارأت صاحبا خيرا منه — قالت — والله ماحدّق فىّ ببصره ، ولقد كان يأخذ بزمام البعير موليا ظهره نحوى حتى إذا دنا وقت الظهيرة أناخ بى ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها حتى إذا أخذت راحتى ودنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه ووضع عليه رحله وتأخر عنى قائلا « على بركة الله اركبى » وما زال حاله معى كذلك حتى إذا رأى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء وبها زوجى عبد الله قال « أدخليها مباركة » ثم انصرف إلى مكة . . . . وتلك عناية الله دائما بالمجاهدات المؤمنات يتولى الله حفظهن ولو على يد أعداء دينه (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

٢ ، ٣ — مات زوجها من أثر جرح خطير أصابه فى غزوة أحد وقال وهو على فراش الموت « يا أم سلمة أتطيعينى ؟ قالت وهل تعصى امرأة زوجها فى طاعة الله ؟ فقال — فإنى أوصيك إذا أنا مت أن تتزوجى ولما تعجبت من وصيته سألته : يا أبا سلمة من هناك يعدلك فى الفضل والتقى والسبق إلى الله ؟ فرفع يديه وقال « اللهم ارزق أم سلمة بعدى زوجا خيرا منى لا يؤذيها ولا يخزيها » . وبمجرد انتهاء عدة الوفاة خطبها الصديق ثم عمر الفاروق فامتنعت عليهما ، فخطبها رسول الله فقالت « إنى مسنّة

وذات عيال وغيرَى وليس أحد من أوليائى حاضرا . فقال الرسول :
« أما السن فأنا أكبر منك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله وأما الغيرة فيذهبها الله وأما أولياؤك فلست أعرف منهم من يكره زواجك بى » .
وقد تم شرفها وزوجها ابنها عمر لرسول الله . ومن إكرام الرسول لها أنه كان يدلّل عيالها حتى ينادى بنتها زينب بقوله « زناب » بل كان يعمل بمشورتها فى المسائل العامة الخطيرة فحينما عز على المسلمين فى الحديبية أن أن يتحللوا من إحرامهم وغضب الرسول جدا هونت عليه أم سلمة الأمر وقالت « يا رسول الله اخرج إليهم وقف بمكان يراك منه الجميع ثم انحر واحلق ولا تكلم أحدا وسترى » . فلما فعل أسرعوا جميعا يتحللون حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من التزاحم وقد حضرت أيضا فتح مكة مع المجاهدين وغزوة خيبر وسمعت وقع السيف فى أسنان « مرحب » اليهودى حينما قتل . وبلغ من عزتها أن قالت لعائشة حينما همت بالخروج لحرب على « أى خروج هذا الذى تخرجين ، الله من وراء هذه الأمة ، لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا هاتكة حجابا قد ضربه على » .

٤ — نزل بمنزلها قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) لما تاب الله على أبى لبابة واستأذنت هى الرسول أن تبشره بها فأذن (وذلك قبل الحجاب) فوقفت على الباب ونادت « يا أبا لبابة

أبشر فقد تاب الله عليك وأنزل فيك قرآنا » ثم قرأت الآية المذكورة .

٥ — كانت سخية بمالها على الفقراء وذات يوم وقف ببابها مساكين كثيرون وليس لديها ما يكفيهم فجاءت امرأة وطردتهم فأمرت بردهم جميعا وقالت « ما بهذا أمرنا ، ياجارية أكرمى كل واحد منهم ولو بتمرة . ولا عجب فأبوها كان يكفى رفقاءه فى السفر طعامهم وشرابهم حتى سمى « بزاد الركب » رضى الله عنها ونفعنا بها دنيا وأخرى .

٣ - أم سليم

١ — هى أم سيدنا أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم الرميصاء بنت ملحان بن حرام — قتل والدها وأخوها مع رسول الله ولذلك كان يكرمها ويزورها فى بيتها ومعها أختها أم حرام ويأكل عندهما تقديراً لصبرهما وإيمانهما ورضاهما بقضاء الله .

٢ — أسلمت مع السابقين من الأنصار رغم أنف زوجها مالك بن النضر فغضب عليها وتركها إلى الشام ومات هناك بعد أن أعقب منها ولده أنساً رضى الله عنه فقالت : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس ليقول جزى الله عنى أمى خيراً لقد أحسنت ولايتى) فلما كبر أنس خطبها أبو طلحة وكان مشركا فقالت له : ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده نبت من الأرض . قال بلي قالت أفلا تستحى ؟ تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإنى لا أريد منك صداقا غير الإسلام فقال لها دعينى لأنظر ثم جاءها مسلما صادقا فقالت الحمد لله ، قم يا أنس زوج أبا طلحة منى فتزوجها .

٣ — كانت أم سليم تغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وطبعت على الشجاعة والقوة فى الله — حتى كان لها فى غزوة حنين خنجر تدافع به عن نفسها وعن رسول الله وفرح بذلك زوجها أبو طلحة وسألها عن الخنجر فقالت (إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه به) ولقد قدر النبي فيها هذه النواحى حتى كان يدعو لها بالخير كثيراً قالت (دعا لى حتى ما أريد زيادة) .

٤ — أعقبت من زوجها أبى طلحة غلاما جميلا يسمى (أبا عمير) كان

يلاعبه صلى الله عليه وسلم وله طائر يلعب به ومات فحزن عليه الغلام جداً فكان النبي كلما رآه قال (يا أبا عمير ما فعل النغير) يمزح معه — ثم لم يطل عمر الولد فمات أيضا فأسف عليه أبوه جداً ولكن أم الغلام الرميصاء أم سليم رضى الله عنها قابلت قضاء الله بالتسليم أوصت على الجيران والأهل ألا يخبروا زوجها بموت ولده حتى تخبره هى — فلما جاء سأل عنه فقالت هو أسكن ما كان فظن أنه عوفى فأ كل وتزينت له وتطيبت حتى أصاب منها حاجته فلما أصبح قالت له (أرأيت جيرانا أعارونا عارية وطال مكثها لدينا حتى شغفتنا حبا ثم طلبوها ؟ فقال إن ذلك لأحرى أن ترد إليهم عاريتهم فقالت (احتسب ولدك عند الله) فذكر ذلك للنبي (فقال بارك الله لكما فى ليلتكما) فرزقت بمولود اسمه عبد الله فأنجب وبارك الله فيه حتى رزق أولاداً كثيرين قرأ القرآن منهم عشرة وأخذ الناس عنهم العلم النافع .

٥ — مع قوتها البدنية ودفاعها عن الإسلام بالسيف كانت قوية الرأى لا تهاب فى الحق أحدا ولا تخشى أن تسأل عن أحكام الدين حتى عما يخجل الرجال من سؤاله وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع الجرىء فى الحق وقال (العلم يضيع بين الحياء والكبر) وقالت عائشة (رحم الله بنات الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين) فتأتى أم سليم ذات يوم فتقول يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت ؟ وتخجل أم المؤمنين عائشة إلى أن غطت وجهها بكفيها حياء من السؤال ولكن الرسول لم يرض هذا من عائشة وقال لها (تربت يمينك فمن أين يشبه الولد أباه أو أمه ثم أجاب

أم سليم وقال (نعم ، عليها الغسل إن رأت الماء) أى إن تحققت موجب الغسل فهى كالرجل سواء .

٦ — لما قدم النبي مهاجرا إلى المدينة أحبت إكرامه فجاءت بولدها أنس وقالت هذا يخدمك فمكث عنده عشرة أعوام مثال الأمانة والخلق الكريم والنشاط والصدق وكتمان السر حتى ألحت عليه أمه مرة لتعرف منه سبب إرسال النبي له فى بعض الأمور فامتنع وقال لها لا أفشى أبدا سر رسول الله ولا لأمى — ولما طلبت من النبي أن يدعو لابنها أنس قال (اللهم بارك له فى ماله وولده وعمره وأدخله الجنة) وقد كثر ماله حتى كان بستانه يخرج الثمر فى العام مرتين . وأولاده حتى دفن من صلبه نحو مائة . وعمر حتى سئم الحياة فعاش ما يزيد عن ١٢٠ عاما . قال وأنا أرجو من الله الرابعة يعنى دخوله الجنة .

٧ — على جميع نساء المؤمنين وبناتهم أن يعتبرن بعظمة أم سليم فيما ذكرنا فقد جعلت إسلام المشرك مهرا لها ، وكانت تحارب مع رسول الله ، وصبرت على وفاة ابنها حتى عوضها الله ، وكانت تتعلم أمور دينها بلا حياء ولا كبر ، وتبرعت بولدها يخدم رسول الله . ولا ننسى صبرها على استشهاد أبيها وأخيها وكذا أختها أم حرام رضى الله عن الجميع .

٤ — سارة امرأة الخليل إبراهيم

(١) نعمة الله عليها بالجمال . (٢) عفتها عما حرم الله . (٣) عملها بيديها مع علو مركزها . (٤) صحبتها لزوجها فى رحلاته وهجرته . (٥) يقينها أن الإيمان بالله ورسله وحفظ العرض يصونانها من كل سوء . (٦) اعتصامها بالوضوء والصلاة عند الكرب (٧) عناية الله بها عند البلاء ومؤانستها .

(٨) إباحة المعاريض عند الضرورة . (٩) أخوة الإسلام أولى من أخوة النسب . (١٠) فضل الله عليها بالذرية بعد الكبر لصلاحها وكرمها .

الشرح

١ — كانت سارة زوجة الخليل إبراهيم عليه وعلى رسل الله صلواته وسلامه وقد منّ الله عليها بجمال ندر أن يوجد فى سائر النساء بدليل قول النبي (إن الله أعطى يوسف وأمه سارة شطر الحسن) رواه أبو يعلى عن أنس — وهو نعمة من الله عليها تستوجب الشكر ، وقد أدته كاملا .

٢ — عاشت سارة طوال حياتها عفة الضمير طاهرة العرض نقية الذيل ، لم تدنس شرفها بعصيان ولم تخن زوجها فى ماله أو فى نفسها — وخير تاج تحمله المرأة على رأسها تاج العفة والشرف والفضيلة — وقد نفعها كل ذلك كما سنرى .

٣ — مع أن سارة كانت من أسرة عريقة فى المجد ولها مركزها السامى لزواجها من رسول كريم هو خليل الرحمن المعدود من أولى العزم الخمسة ، مع كل هذا لم تتكبر عن خدمة بيتها بيديها ومباشرة مصالح منزلها كأية

امرأة عادية تواضعا منها لله ، وقد ثبت أنها كانت تطحن الحب بيديها وهذا هو السبب فى إهدائها بهاجر من ملك مصر لما نصرها الله عليه وعلم أنها تعمل بنفسها .

٤ — اقترنت حياة زوجها عليه السلام بأهوال ورحلات وأسفار ، وكان يهاجر من إقليم إلى آخر فى الشام ثم منها إلى مصر للدعوة إلى الله وطلب العيش الحلال ومحاربة الشرك والظلم فى شتى صوره ولم تفارقه سارة فى كل هذه المراحل لتشجعه وتشد من عزمه .

٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ — كانت سارة من المؤمنات الموقنات لم يتخلل عقيدتها تردد ولا شك بل كانت موقنة بصدق الله وصدق زوجها وأن ما وعد الله حق وأن العاقبة للمتقين مهما اعترضتهم صعاب ، ولما تم عليها الجبار المصرى المسمى (عمرو بن امرىء القيس بن سبأ) وكان يعرفها لأن زوجها الخليل كان يشترى منه القمح ، فقال الخائن لملك مصر إنى رأيتها من أحسن الناس جمالا ولا ينبغى أن تكون إلا لك ، فأمر الملك بدخولها القصر عليه ، وقال لها الخليل إنه إن علم أنك زوجتى أخذك فقولى له إننى أخته ووالله إنك لأختى فى الإسلام ما على وجه أرض مصر من يعرف الله غيرى وغيرك ولما أراد الملك مسها استعان إبراهيم بربه وقام يصلى فنصرها الله ورفعت يدها إلى السماء ودعت الله فى سرها قائلة (اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك وأحصنت عرضى إلا على زوجى فلا تسلط علىّ الكافر) فقبضت يده قبضة شديدة ونام وغط وركض برجله كأنه مصروع فقال لها لما أفاق ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك . فقالت (اللهم إنه

إن مات يقولوا قد قتلته) ففك الله يده . وأرادها سوءاً مرة أخرى فقبض أشد من الأول وكانت هي تتوسل إلى الله بالوضوء والصلاة ، فقال الفاجر (إنكم لم تأتوني بإنسان بل شيطان) بسبب ما حدث له من الصرع والاختناق فلما رأى حفظ الله لها تركها ووهبها هاجر — فرجعت سالمة غانمة إلى زوجها وهو يصلي ، فسألها ما الخبر ؟ فقالت رد الله كيد الكافر الفاجر في نحره وأخدمني هاجر . ومن لطف الله بها أن آنسها برؤية زوجها وهي أمام الملك لتذهب عنها الوحشة وصار القصر كالقارورة يراها وتراه ويسمع ردها على الفاجر . قال أبو هريرة راوى هذا الحديث (فتلك أمكم يا بني ماء السماء) يعني العرب الذين يعيشون على ماء المطر .

١٠ — لكل هذا الصلاح والصبر عوضها الله خيراً ورزقها وهي عجوز نبي الله إسحاق ، وجاءت لها الملائكة بالبشرى فقالت (ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ؟ إن هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال الخليل (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ؟ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وقد كان عليه السلام خائفاً منهم لعدم أكلهم ولكن (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) وقد فرح الخليل وقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) وقد شهد الله لهذا الغلام بالصلاح وأعطاه كأبيه وابنه يعقوب النبوة والعلم قال تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين) .

٥ — هاجر أم العرب

العناصر

أصلها ، كيف أصبحت زوجة للخليل — صبرها — هجرتها — ثقتها بالله ، إكرام الله لها ، بناء الكعبة .

اسمها « هاجر أو آجر » وهو اسم سريانى ، أبوها من ملوك القبط ، وهى من صعيد مصر من قرية اسمها « حفن » بالجهة الشرقية مقابلة للأشمونين التابعة لمدينة « أنصنا » بمديرية المنيا وبها آثار . كانت رضى الله عنها تعمل بقصر فرعون مصر — ولما هاجر الخليل مع زوجته سارة من الشام إلى مصر وأراد فرعون اغتصابها ورد الله كيده فى نحره ونصرها عليه وأعجب بها ، علم أنها تطحن بيديها وليس لديها خادم فمنحها كما ذكرنا «هاجر» ورجع الثلاثة إلى الشام . وأرادت سارة إكرام زوجها الخليل فوهبته هاجر فتزوجها بعد أن جعل عتقها صداقها ، وهنا عملت الغيرة فى قلب سارة عملها ، فكانت هاجر تلقى منها ما لم تستطع تحمله وكلما اشتكت إلى زوجها قال لها « اصبرى » ، فلما أدركها العناء وأرهقها الأذى خرجت هاربة من منزلها ، فقابلها ملك من الله وأمرها بالعودة والاحتمال وبشرها بأن فى بطنها غلاما سيكون أبا لسيد البشر ففرحت ورجت خيرا وعادت ولم تخبر أحداً بسرها ، وكلما صلت قالت « اسمع إيل » تعنى رجاء الله أن يحقق بشرى الملك الذى قابلها وهى هاربة ، وفعلا وضعت غلاما مباركا

سماه أبوه بما كانت أمه تدعو به فى حملها « إسماعيل » ، وسر به الوالد سروراً كبيرا خاصة وقد رزق به بعد الكبر ، وهنا زادت غيرة سارة منها ، فانتهزت فرصة أمر بدر من هاجر وحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء ، وقد خافت هاجر فاتخذت منطقا يجر على الأرض ليخفى أثرها إذا هربت من ضرتها ، وكان هذا سبب اتخاذ النساء المنطق بعد . ويقال إن زوجها الخليل شفع فيها وقال لسارة « حللى يمينك بأن تثقبى أذنيها وتخفضيها (تختنيها) ، فكانت أول من فعل ذلك كما كان أول من اختتن من الرجال زوجها الخليل وهو ابن ثمانين بأمر الله .

ولما زاد بين الضرتين الجفاء وأراد الله تعالى إتمام رسالته فى إظهار مجد الكعبة أمره بالهجرة من الشام ومعه هاجر وابنها إسماعيل ومعهما سقاء ماء وجراب تمر ، ويقال إن الخليل أخذهما على البراق فى تلك الرحلة وتركهما عند موضع الكعبة وهى يومئذ لا شىء . وعاد إلى الشام فأدركته هاجر عند « كداء » ونادته ثلاث مرات أتتركنا حيث لا جليس ولا أنيس وهو لا يرد عليها ، ثم قالت له آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت (رضيت هو حسبى لن يضيعنا) وحينما رجعت إلى ولدها وغابت عن زوجها استقبل مكان الكعبة ودعا الله قائلا (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ثم قال (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) . وقد استجاب دعاء الله خليله وحقق له الأمرين .

أولا : أرسل لهاجر قبيلة جرهم وهى أصل العرب الخلص العاربة فعمروا المكان وملأه سكانا ورزقا ، ولا تزال القلوب إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تحن إلى مكة وبيتها المحرم حنين الطير إلى وكره والأم إلى وحيدها .

ثانيا : حقق الله بشرى الملك لهاجر بما تحمل فى بطنها وما طلبه إبراهيم من إرسال رسول من هؤلاء العرب الأمجاد نسل ولده إسماعيل ، وفعلا بعد مضى أجيال جاء خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل تحقيقا لوعد الله .

ولأجل أن يكمل الله الفرحة لإبراهيم ويمن على زوجته الثانية سارة لجهادها وصبرها معه رزقه منها أيضا بإسحاق نبيا من الصالحين بعد إسماعيل بأربعة عشر عاما ورفع الخليل إلى الله الشكر والثناء قائلا (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء) .

ونلاحظ أن الخليل عليه السلام كان يتعهد أسرته تلك بالزيارة كل شهر على البراق ليقف على حال ولده وزوجته وما زال كذلك حتى حدث مرة أن نفد ما فى الجراب من الزاد وما فى السقاء من الماء وكان عمر إسماعيل يومئذ عامين وإبراهيم عليه السلام غائب لدى سارة بالشام وليس مع هاجر وابنها إلا الله ، وقد انقطع اللبن من ثديها لانقطاع الطعام والشراب فماذا تصنع هذه المسكينة فى هذا المكان القفر وفى هذا الظرف العصيب وفى هذه الغربة الموحشة هنا يظهر أثر الإيمان بالله المنقذ فى الشدائد والمغيث فى النوائب ، إنه لولا الإيمان بالله لتزلزلت هذه المرأة أمام كل هذه

الكوارث ، أذى ضرتها ، والرحلة بها إلى صحراء جرداء لا زرع بها ولا ضرع — ونفاد زادها ورؤيتها لابنها يتلوى من الجوع أمامها وليس بقربها من مؤنس يفتيها فى كربها أو يخفف عنها بلاءها . ولكن صدق الله العظيم (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) كيف رد الله لهفتها وأطعمها من جوع وآمنها من خوف ؟ هذا ماسنراه فى الوصل التالى

وصـــــل

قلنا إنه لولا الثقة فى الله لتزلزل إيمان هذه المسكينة ، ولكن الله أنجزلها وعده « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وهى لم تعتمد فى هذا الظرف العصيب إلا على مولاها المغيث للملهوفين .

قامت هاجر تاركة ولدها الصغير لتبحث له ولها عن إنقاذ ، لعلها تصادف إنسانا مارّا أو قافلة مرتحلة فتجد لعسرها يسرا . وقد توجهت إلى جبل الصفا وعلت عليه ونظرت يمينا وشمالا وأماما وخلفا فلم تر أحدا فهبطت من عليه قاصدة جبل المروة وصنعت عليه ماصنعت على الصفا فلم تر أحدا ، وكانت كلما وصلت فى السعى بينهما إلى بطن الوادى العميق ، المعلّم الآن بملامتين بدءا ونهاية ، غاب عن بصرها فلذة كبدها فكانت تسرع وتهرول إلى أن تجاوزه إلى المرتفع فتمشى الهوينا وهى ناظرة إليه مطمئنة عليه . وكررت هذه العملية سبع مرات بين الصفا والمروة لم تنل فيها إلا الجهد والنصب . وكانت كلما رأت ولدها يحتضر عزّ عليها جدا أن

يموت بين يديها وهى تنظر إليه ، وفى آخر الشوط السابع توجهت إلى ابنها فسمعت فى الطريق أصواتاً لم تتبينّها ، وكلما وقفت انقطع الصوت فإذا سارت عاد ، ولما هى فيه من كرب لم تخش الصوت بل نادته « أغث وإلا فاسكت . وإذا بها تجد جبريل عند ولدها فسألها ، من أنت ؟ فقالت أنا هاجر زوجة الخليل إبراهيم ومعى ولدى هذا » فقال جبريل يمتحنها « إلى من ترككما إبراهيم ؟ » قالت « إلى الله تعالى » قال « ترككما إلى رب كاف » ، فضرب بعقبه الأرض فتفجرت عين ماء من أطيب ما خلق الله لونا وريحا وطعما .

وفى هذه المفاجأة السارة أسرعت هاجر تحوط الماء بيديها مخافة تلاشيه فى الرمال ، فطمأنها جبريل قائلا « دعيه فإنها رواء » . ويخبر نبينا صلى الله عليه وسلم عما صنعت هاجر بزمزم ، فيقول « رحم الله أم إسماعيل ، لو لم تغرف من الماء » وفى رواية « لو تركت الماء لكانت زمزم عينا معينا » وسئل صلى الله عليه وسلم عن « زمزم » فقال « إنها ركضة جبريل وسقيا إسماعيل وماؤها لما شرب له شفاء السقم وطعام الجائع » . نعم لقد كانت زمزم من نعم الله على أهل هذا الوادى وإسعافا لهذه السيدة المكروبة وابنها ، ومقدمة وسببا فى تعمير هذه البقعة من بلاد الله المقدسة ، ولكن هاجر لما تدخلت فى مائها بالتحديد والتحويط وداخلها كسب البشر فوقفت عند هذا كما نرى اليوم ، ولو تركت على العناية الإلهية فربما كانت نهراً جاريا يصل ما بين اليمن والحجاز إلى الشام .

ثم بشرها جبريل قائلا (لا تخافوا على أهل هذا الوادى ظمأ ، فإنها

عين يشرب منها ضيفان الله) فقالت « بشرك الله بخير » ، ثم قال لها « لا تخافى الضياع هنا ، فإن فى هذا المكان بيتاً لله سيبنيه هذا الغلام وأبوه وكان البيت الحرام قد محى أثره فى الطوفان فكان الرسل يحجّون ولا يعلمون مكانه حتى حدّد الله حدوده لإبراهيم ورفع قواعده ، وكان أول من بناه آدم عليه السلام على الأرجح : وكان هناك بواد قرب مكة قبيلة تسمى (جرهم) منسوبة إلى أصلها المسمى بهذا الاسم ، ولم يكن بينه وبين سيدنا نوح إلا أربعة جدود فروا ذات يوم فشاهدوا الطيور تحوم على الماء عند هاجر ، ولما تبينوا الأمر فرحوا بها وبولدها واستأذنوها فى النزول بجانبها وتعمير المكان فأذنت لاحتياجها إلى الجوار والأنيس ، ولما كانوا عربا خلصا ، فقد تعلم إسماعيل منهم اللغة العربية وبرع فيها وأفصح وأبان وأصبح أعرب من يعرب بن قحطان ، وقد نشأ بين هؤلاء العمالقة (جرهم) وزوجوه من بناتهم مرتين الأولى اسمها (عمارة بنت سعد) والثانية اسمها (عاتكة) ، وكان الخليل يزورهم كل شهر على البراق فى غدوة على أن يرجع إلى الشام وقت قيلولة الظهر :

وبدأ إسماعيل يسعى على نفسه وزوجته وأولاده وأمه ، ويطلب الصيد ليقتات به مع التمر وماء زمزم .

وقد ظهر الفرق واضحا بين الزوجة المؤدبة ذات الخلق التى تعين زوجها فى السرّاء والضرّاء وبين الزوجة الشاكية الباكية الساخطة . فكيف كان ذلك ؟ ؟ ؟ هذا ما سنراه فى الوصل التالى .

أثر رضا الزوجة
وسخطها فى حياة الأسرة

قد علمنا فيما سبق أن إسماعيل عليه السلام تزوج من قبيلة (جرهم) العربية ، وكانت زوجته الأولى من النساء البطرات الساخطات على عيشهن اللواتى لا يصبرن على اختبار ولا يحفظن لله تعالى معروفا ، طبعهن الشراهة والنهم والتشبع من نعيم الدنيا وبهجتها مما يصرف القلب عن التفرغ لعمل الخير وعبادة الله . ولنا عبرة فى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن لما أكثرن الطلب على رسول الله وألححن فى التماس النفقة أنزل الله لهن هذا التهديد الشديد . « يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما » . ومن حكم الشعراء :

وزوجة المرء عون يستعين بها ... على الحياة ونور فى دياجيها
مسلاة فكرته إن بات فى كدر ... مدت له لتواسيه أياديها
فى الحزن فرحته تحنو فتجمله ... ينسى بذلك آلاماً يعانيها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة ... تدبر الدار تدبيراً ينجيها
تعامل الزوج فى أحوال عسرته ... وفى اليسار بما فى النفس يشفيها
والزوج يدأب فى تحصيل عيشته ... دأبا ويجهد منه النفس يشقيها
إن عاد للبيت يلقى ثغر زوجته ... يفتر عما يسر النفس يحييها
هذى القرينة هذى من تحن لها ... نفس الأبى ولكن أين نلفيها
وزوجها ملك والدار مملكة ... والصفو والسعد يجرى فى نواحيها

تلك هى أوصاف الزوجة التى تملأ البيت أمناً وسلاما وتوفر له هدوءاً وعزا ، إن نظر إليها زوجها سرته ، وإن أمرها طاعته ، وإن غاب عنها حفظته فى عرضها وماله ، لا تسمعه فحشاً من القول ، ولا تكلفه فوق احتماله من المطالب ، شأنها الرضا والقناعة والسمع والطاعة . ولقد كانت زوجة إسماعيل الأولى على عكس هذه الخلال من حيث الرضا والصبر . فلما حضر الخليل إلى الحجاز بعد علمه بموت هاجر ليطالع تركتها لم يجد ولده إسماعيل فى البيت فلقد كان غائباً فى طلب الصيد ، فسأل زوجته عنه فأخبرته بغيبته وسألها عن حال العيش فشكت له الفقر والعوز وقالت له نحن بشر حال ، ولما كانت أخلاق الزوجة تسرى إلى بنيها خاف إبراهيم على ذرية ولده أن يرثوا سوء الخلق من أمهم فأوصاها أن تبلغ زوجها سلام أبيه وإشارته عليه بتغيير عتبة الباب ، وفهم إسماعيل مراد أبيه وأن زوجته هى العتبة وأنه يجب فراقها ، وفعلا طلقها وإنما شبهها الخليل بعتبة الدار لأن العتبة أول ما يصادف الداخل إلى المنزل وهى وقاية له والزوجة هى مدخل الأسرة الأول الذى إن صلح صلحت الأسرة فالشعب كله ، وإن فسدت فسدت الأسرة فالأمة بأسرها . ومن حسن الإدراك ونور الفهم أن إسماعيل لما حضر من الصيد داخله أنس خاص وانشراح صدر وشم فى المكان رائحة أبيه دون أن يعلم بزيارته فسأل زوجته الساخطة قائلا « هل أتاكم اليوم أحد ؟ فقالت ، نعم شيخ كذا وكذا » كأنها مستخفة به ، أما الزوجة الثانية فقد سألها الخليل سؤال سابقتها فقالت « نحن بخير والحمد لله انزل رحمك الله فاطعم واشرب » فسألها عما لديها من الغذاء فقالت : « خير الله لدينا كثير ، لبن ولحم وماء » ففرح الخليل

بإيمانها ورضاها ودعا لها ولزوجها ولأسرتها بالبركة فى اللحم والماء وأوصاها إذا حضر زوجها أن تبلغه تحية أبيه وإشارته عليه بتثبيت العتبة أى بإكرامها وإبقائها ، ولقد أكرمت الخليل وأقسمت عليه أن تغسل رأسه وتدهنه لأنه كان أشعث من السفر ، قالوا إنه قدم كل شق من رأسه على حدة ووضع رجله على الحجر المسمى الآن بالمقام وكان مطروحاً ببيت إسماعيل والأثر الذى فيه للآن من عقبه وإصبعه ، ولم ينزل عليه السلام من على البراق لأنه كان عاهد سارة أن يسرع بالعودة إليها . وقد أكرم الله هذه الزوجة المؤمنة الراضية فرزقها بعشرة من الذكور من إسماعيل وكان كلما سألها عن أبيه تقول « هو أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحاً » فيقول لها لقد كنت علىّ « كريمة ولقد ازددت كرامة على » . وهذا يدل على وجوب احترام الزوجة لأقارب زوجها حتى تحترم هى فى نظره . ومن أسباب المتاعب فى البيوت احتقار الزوجة لأهل زوجها أو العكس والاستئثار بالزوج دون أهله ، وهنا تدب الغيرة ويعمل الحقد عمله فى النفوس ، مع أن الله جعل فى المصاهرة التعاون والتراحم ، قال تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وإدراك هذه النقطة نفسها من الزوج والزوجة يحل مشاكل لا حصر لها ويجعل الحياة طيبة . وهنا قد مضى على الخليل زمن طويل لم يشاهد فلذة كبده إسماعيل فهو فى شوق إليه شديد حتى ورد أنهما لما التقيا بعد ذلك بكيا من الفرح بكاء أجابهما من أجله الطير ، وكان عمر الخليل ساعتئذ مائة عام وابنه ثلاثين وفى هذا الولد البار الذى لم يره أبوه إلا بعد الكبر جرى لوالده امتحان قاس وبلاء عظيم لا يصبر عليه إلا المؤمنون الثابتون — فكيف كان ذلك ؟

رجال مؤمنون

إبراهيم الصابر وإسماعيل البار

« وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين » .

الله أكبر : هذا هو نور الإيمان الذى يمنح أصحابه من القوة ما يستطيعون به حمل الأثقال ، ومواجهة الأهوال ونفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة ، لأنهم إلى ربهم راجعون ، فهم فى سبيل رضاه يتحملون ، ومن أجل إعلاء دينه يعملون ، وفى آخر الآيات يشير الله إلى أثر الإيمان به فى ملاقاة الصعاب واستعذاب العذاب « إنه من عبادنا المؤمنين » فبالإيمان وحده نستطيع تخطى كل عقبة تعترضنا ، ونؤدى كل عمل نكلف به ، وننتصر على كل خصم أراد بنا سوءا « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وإن سبب التكاسل عن أداء الصلوات والصيام والحج وسبب الشح عن بذل الزكاة والصدقات ، والسخط والتذمر من أى اختبار يرد على الإنسان والبطر عند الرخاء ، بل والتمادى فى إعطاء النفس شهواتها المحرمة — كل ذلك سببه

عدم الإيمان بالله والتعرف إليه والخوف منه — وإن أسهل علاج وأيسره وأسرعه لوجود الفرد الصالح والمجتمع الصالح لهو التربية الدينية ، وهداية الإيمان والأخلاق .

وها نحن قد رأينا والداً هو الخليل إبراهيم يعرض على فلذة كبده ووحيده أمر الله بإعدامه ذبحاً بيده ، وما أصعبه من ألم على النفس والبدن سيما من أب لولده ، فيتلقى الإبن قضاء الله بكامل الرضا والتسليم والأدب ، ويفهم أباه أنه مستعد لأمر مولاه مهما كان شديداً ومؤلماً ، وكان ذلك عند ما شب الغلام واستطاع السعي مع أبيه فى المصالح الخاصة والعامة وصار ملء السمع والبصر ، وليس يهين أبداً فقد مثل هذا الولد وليس له فى هذا الوقت من عوض وكان أبوه قد جاوز المائة وهو فى حاجة إلى المعين ، وقد نهض الأب وابنه لتنفيذ أمر الله وأسلما أى سلّما وفوضا وأضجع الخليل إسماعيل على خده وجنبه لذبحه ، وهنا أدركتهما رحمة السماء ، ولما كانت العادة من القديم أن يتقرب الناس إلى ربهم بذبح بعضهم ، فكان أحدهم قد يذبح نفسه فى مذبح إلـهه طلبا لمرضاته . وقدماء المصريين كانوا يقربون للنيل العرائس من البشر ، وقوم موسى كان إذا أذنب أحدهم قتل نفسه « فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » وأراد الله الرحيم إبطال تلك العادات الفظيعة والتقاليد الوحشية ، ففدى إسماعيل بذبح عظيم « كبش كبير سمين » وخلص الإنسانية من ظلم فاحش . وكان ذلك يوم عيد النحر الذى أصبح رمزاً لفداء البشر من السلاسل ، وفك حريته من القيود ، وعتق رقابه من الانتحار .

ولما كان الخليل قد تعرض لجملة ابتلاءات تهتز لها العزائم وجازها بصبر وإيمان ، كالقائه فى النار ونجاته ، وذبح ابنه إسماعيل وفدائه ، ومشروعية الختان والهجرة وتغريب ولده وزوجته ومجادلة عبّاد الكواكب

والأصنام ، وغير ذلك من الفتن وتحمل كل ذلك عن رضا ، كما قال تعالى « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن » فكان الجزاء « قال ، إنى جاعلك للناس إماما » وفعلا ما من شعب ولا أمة إلا وهى تفخر بالانتساب إلى إبراهيم أبو الرسل والأنبياء ، وفى الحديث « أنا ابن الذبيحين » — إسماعيل جده وعبد الله أبيه ، ولما أراد الله إبراز فضل الكعبة ومجد مكة أمر الخليل برفع قواعد البيت وكانت هى بنفسها قواعد للبيت قبل ذلك من عهد آدم الذى قال « يا رب إنى هنا فى الأرض لا أسمع أصوات الملائكة ، قال ابن لى بيتاً ثم أحفف به كما رأيت ملائكتى تحف بيتى الذى فى السماء » ، وبلغ إبراهيم فى الحفر أساس آدم وأدخل الحجر فى البيت ، وكان قبل ذلك زربا لغنم إسماعيل ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا ، وحفر بجانبه بئراً تلقى فيها هدايا الكعبة ، ولما كان طوفان نوح قد هدم البيت وأراد الخليل إعادته كأصله أوحى الله إليه « انظر فوقك » فوجد سحابة سمع منها صوتا يكلمه أن يبنى على ظلها لا يزيد ولا ينقص — قال تعالى « وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت » أى دللناه على مكانه وأعنّاه على بنائه ، وكان هو يبنى وإسماعيل يناوله وقد كان يقف على الحجر الذى سبق أن نزل عليه فى زيارته لابنه وغسلت زوجة ولده رأسه عليه — وهو الآن مقام إبراهيم — وقد حمدا ربهما على تمام الدين وقالا « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وأراه جبريل المناسك كلها ، ووقف الخليل على الحجر السابق ونادى « يا أيها الناس أجيبوا ربكم » فلباه من كتب له الحج فى الأرحام والأصلاب ، ثم جاء بالحجر الأسود وكان رفع فى الطوفان ودله عليه جبريل فوضعه فى مكانه فى الكعبة ، وقد حضرت سارة وابنها اسحاق الذى رزقت به بعد أن رزقت هاجر بإسماعيل بأربعة عشر عاما — وأدى الجميع مناسك الحج .

الوصايا العشر

من أم إلى ابنتها ليلة الزفاف

فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه :

قال العباس بن خالد السهمى :

خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم إياس ، فقال أبوها نعم أزوجكها على أن أسمى بنيها وأزوج بناتها ، فقال عمرو بن حجر (الخاطب) أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك ولكنى أمهرها عقارا فى كندة وأمنحها حاجات قومها لا ترد لأحد منهم حاجة فقبل ذلك منه أبوها وأنكحه إياها . . . فلما كان بناؤه « زفافه » بها خلت بها أمها فقالت :

بنيتى إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل .

بنيتى إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه إياك عليك ملكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا .

أما الأولى والثانية : فصحبته بالقناعة ، ومعاشرته بحسن السمع له والطاعة ، فإن فى القناعة راحة القلب ، وفى المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب .

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية لحشمه وعياله ، فإن حفظ المال من حسن التقدير ، والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

وإياك والفرح بين يديه إذا كان فى ترح ، والحزن أمامه إذا كان فى فرح ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

فعملت البنت بوصايا أمها الرشيدة وباركها الله فأنجبت الحارث بن عمرو جد امرىء القيس الشاعر .

* * *

أيتها الأمهات : بمثل هذه التربية العالية تبنى البيوت وتنهض الأمم وما من مشكلة وقعت أو ستقع إلا وأصلها فى يد الأم المربية ، وكما قيل « المرأة التى تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها » ، ومن تحت راية الأم المؤمنة الفاهمة ذات الخلق يتخرج الرجال المصلحون وتنشأ البنات الفاضلات فمن هنا فلنبدأ إصلاحنا .

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وصلوات الله وسلامه على من قرر أن السعادة الأبدية إنما تنبع من فيض الأم وحكمتها وتربيتها ، فقال : (الجنة تحت أقدام الأمهات) .

أحياءُ الأمواتِ (بالإيمان)

شعر ولى الله وحجة الإسلام الإمام الغزالى ، بدنو أجله وقرب لقائه لله وذلك بنور قذفه الله فى قلبه ، فاغتسل وطلب ثوبا جديدا لبسه ثم تطيب بالمسك وصلى ركعتين وقال لأصحابه (أنى أريد الدخول على الملك ، ثم دخل حجرته وانتظر بها طويلا ، فلما أبطأ عليهم دخلوا عليه فوجدوه مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبل القبلة وقد فارق الحياة وعند رأسه هذه الوصية :

قُلْ لِإِخوانٍ رَأَوْنِي مَيِّتًا . فَبَكَوْنِي ورثَوْنِي حزَنَا
أتظنُّونَ بِأَنِّى ميتُكُمْ ليس ذاك الميتُ واللهِ أنَا
أنا فى الصورِ وهذا جَسدِى كان بيتِى وقميصى زَمَنَا
أنا كنزٌ وحجابِى طَلْسَمٌ من تُرَابٍ كان ضيقاً وعَنَا
أنا دُرٌّ قدْ حواه صدفٌ لِامْتحانِى فنفيْتُ المِحَنَا
أنا عُصْفُورٌ وهـذا قفصِى طِرْتُ عنه فَبَقِى مُرْتهنَا
أَحمدُ اللهَ الذى خَلَّصنى وبنى لِى فى المعَالِى مَسْكَنَا
كنتُ قبلَ اليومِ مَيْتاً بينكم فَحَيِيتُ وخلَعْتُ الـكفنَا
وأنا اليومَ أنَاجى مَلاً وأرَى اللهَ جِهارًا علَنَا
عاكفٌ فِى اللوحِ أقرا وأرَى كلَّ ما كانَ تنبأ آى ودَنَا
وطعامِى وشرابِى واحدٌ وهو رمزٌ فافهمُوهُ حسَنَا

لَيْس خمراً سائغاً أو عسَلاً   لا ولا ماءً ولكنْ لبَنَاَ
فافهموا السِّرَّ ففيه نبأٌ   أيُّ معنًى تحتَ لفظِي كَمِنَاَ
فاهْدِمُوا بيتِي ورُضُّوا قفصِي   وذَرُوا الطلْسَم يَبْلُوه الفَنَاَ
قد ترحَّلْتُ وخلَّفْتُكُم   لستُ أَرضَى دارَكم لِي وطَناَ
لا تظنُّوا الموتَ موتاً إنَّهُ   لَحَيَاةٌ وهو غَاياتُ الْمُنَى
حيٌّ ذِي الدارِ نَوُوم مُغْرِقٌ   فإذاَ مَاتَ أَطَارَ الْوَسَناَ
لا تُرْعكُم هَجْمَةُ الموتِ فمَاَ   هُوَ إلاَّ إنتقالٌ منْ هُنَاَ
وخُذُوا الزَّادَ جميعاً لا تَنوا   ليس بالعاقلِ منَّا مَنْ وَنَى
واحْسِنُوا الظَّنَّ بربٍّ راحمٍ   شاكرٍ للسعيِ وأْتُوا أَمْنَناَ
مَا أَرَى نفسِيَ إلاَّ أَنْتُمُو   واعتقادِي أنكم أَنْتُمْ أَنَاَ
عُنْصُرُ الأنفسِ منَّا واحدٌ   وكذَاَ الجِسمُ جميعاً عَمَّنَاَ
فارْحَمُونِي وارْحَمُوا أنفُسَكُمْ   واعلَمُوا أنكمُ فِي إثْرِنَاَ
أسألُ اللهَ لنفسِي رحمةً   رحِمَ اللهُ كريماً أَمَّنَاَ

وهكذا المؤمن الصادق المخلص ، المستنير بنور الله ، يكون فناء جسمه ، غير مانع له من استمرار حياته ، التي ينفع فيها نفسه وغيره ، وتكون آخرته استمرارا لجهاد دنياه ، وتبقى آثاره جنة باقية ناطقة بعلو شأنه ، ومظهرا لخلوده السرمدى (إنَّا نحنُ نُحْيِ الموتى ونكتبُ ما قدَّمُوا وآثارهم) — هذا فى الوقت الذي يكون فيه الغافلون عن الله وهم أحياء فى الدنيا بأجسادهم أمواتاً فى واقع الأمر لا ينتفعون ولا ينفعون ، ألاَ فلتبق حياتنا خالدة بعد الموت ، بإقبالنا قبلها على الله ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

مفاتح الجنـــة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اضمنوا لى ستاً من أنفسكم أضمن لـكم الجنة » .

(١) اصدقوا إذا حدثتم . (٢) وأوفوا إذا وعدتم .
(٣) وأدوا إذا ائتمنتم . (٤) وغضوا أبصاركم .
(٥) واحفظوا فروجكم . (٦) وكفوا أيديكم .

١ — الصدق

١ — الحديث يدل على أن الجنة لابد لها من ثمن وهو الجهاد فى الدنيا ضد الهوى والنفس الأمارة والشيطان وهو التخلق بالخلق الحميد — ومن طمع فى الجنة من غير تقديم ثمنها فهو مغرور كاذب — وفى الحديث القدسى « ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى ؟ » .

٢ — الصدق هو مطابقة الواقع فى كل خبر أو حديث قال تعالى : (فلو صدقوا الله لـكان خيراً لهم) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين) وهو أوجب خصوصاً مع الأطفال الذين نربيهم حتى لا يعتادوا الـكذب وحتى يثقوا فى والديهم ، قال صلى الله عليه وسلم لامرأة وعدت ولدها تمرة « إنك لو لم تعطه لـكتبت عليك كذبة » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به » ولنا عبرة فى قصة على الخواص مع المختفى عنده ودلالته عليه ونجاته بالصدق —

وفى قصة أبى بن كعب ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وصدقوا فى الاعتراف فتاب الله عليهم .

٣ — الصدق يدل على الثقة فى الله والإيمان به لأنه مطلع على حقائق الأحوال لا تخفى عليه أقوال ولا أعمال سميع عليم .

٤ — الصدق يدل على قوة صاحبه الشخصية وكماله وعدم مبالاته بالخلق فإن الكاذب دائما يغطى نقصه بالكذب ليفلت من غضب الناس ولا يدرى أنه لابد من كشف أمره يوماً ما .

٥ — الصدق يولد الثقة بين الناس ويحقق الأمان والطمأنينة فيتبادلون المنافع ويتعاونون على الخير ، قال صلى الله عليه وسلم « تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة — وإياكم والكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة » .

٦ — لا يخفى أن من أسباب نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته نشأته على الصدق حتى كانوا يسمونه الصادق الأمين ، وقال تعالى فى ذلك (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولذلك كان إذا دعا أحداً إلى الإسلام وهداه الله قال له . امدد يدك أبايعك فوالله ماجربنا عليك كذباً » .

٧ — وقصة جعفر بن أبى طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر مع المؤمنين إلى الحبشة وأرسلت الكفار إلى النجاشى ليردهم إليهم أسارى واتهموهم بأنهم مفسدون وأرسل لهم النجاشى يسألهم عن حالهم

وعند ذلك قال أصحاب جعفر له وهم متوجهون إليه « اصدق الله معهم يَصْدُقْكَ » وفعلا لم يكذب جعفر ولم يتملق الملك ولم يكتم شيئاً من أمر عيسى عليه السلام خوفاً من النصارى وكان فى هذا الصدق نجاتهم جميعاً وإكرامهم .

٨ — لا ينجى العبد يوم القيامة إلا صدقه فى الدنيا ، قال تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) أما الكذابون فقال فى شأنهم (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) .

جعلنا الله تعالى من الصادقين ...

من توجيهات الإسلام

قال تعالى :

« وإما تخافن من قوم خيانةً فانبِذْ إليهم على سواءٍ إن اللهَ لا يُحِبُّ الخائنينَ . ولا يَحسَبنَّ الذينَ كفروا سبقوا إنهم لا يُعجزونَ وأعِدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رِباطِ الخيلِ تُرهبونَ به عدُوَّ الله وعدُوَّكم وآخرين مِن دونهم لا تعلمونهم الله يَعلمُهم وما تُنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون » .

٢ — الوفاء بالوعـــــد

١ — الوفاء بالوعد من صفات الله عز وجل قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) وقال (وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) .

وهو من صفات الرسل الكرام قال تعالى (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وقال(واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) وثبت أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم تبايع مع أحد أصحابه وبقيت له بقية فوعده الصحابى أن يأتى له بها فى مكان كذا ثم نسى الصحابى الوعد واسمه عبد الله بن أبى الحمساء ولم يتذكر إلا بعد مضى ثلاثة أيام فحضر فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى انتظاره وقال له (أنا هنا أنتظرك منذ ثلاث) .

٢ — الوفاء بالوعد من علامات الإيمان بالله والخوف منه ومراعاة حقوق عباده وهو علامة على الثقة بالنفس وكرم الأصل واحترام الناس كما أن خلف لوعد علامة على نقيض ذلك من الجبن والنفاق واحتقار الناس وخبث الأصل وضعف الشخصية

٣ — الوفاء بالوعد يحقق الثقة بين الناس فيصدق بعضهم بعضا عند عقد العهود والوعود وإبرام العقود ويزيد التعاون بينهم وتتبادل المنافع والخلف يولد عكس ذلك فتضيع المصالح وتنعدم الثقة حتى يأتى وقت على صاحب الوعد الكاذب لا يصدقه أحد وإن صدق فتظلم الدنيا فى وجهه وتنسد أمامه مسالك الخير .

٤ — نتأسى فى الوفاء بالقصة التى أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل استلف من غيره مالا ووعده أن يرد له الدين فى ميعاد كذا ولم يحضر المستدين شاهداً عليه أو ضامناً له إلا الله ، ورضى صاحب المال بالله شاهداً وضامناً ولحسن نية المستلف فى السداد قواه الله وأغناه وجاء ليرد ما عليه فتعذر عليه الوصول لبلد الدائن من أجل تلف القنطرة التى يعبر الناس عليها ولخوفه من الله ومن خاف الوعد هداه تفكيره إلى أن يضع المال فى جوف خشبة ثم سدها سداً محكماً وقال اللهم أنت الشاهد والضامن فأسألك أن توصل الحق لصاحبه ورمى بالخشبة فى الماء وأراد الله إكرامه فخرج الدائن إلى البحر مصادفة فوجد الخشبة وفتحها فوجد فيها المال فحمد الله كثيراً وأثنى على المستلف الوفى ودعا له بخير ، ولكن المستلف لم تطب نفسه بما عمل وظن أن المال لم يصل إلى صاحبه فأحضر غيره وجاء بعد إصلاح القنطرة فقال له الدائن يا أخى بارك الله لك قد أدى الله عنك وأوصل المال إلى لحسن نيتك وعزمك على السداد فانصرف راشداً . وصدق رسول الله حيث قال (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) .

٥ — على المؤمن ألا يعد وعداً إلا إذا كان يوقن فى نفسه القدرة على الوفاء به فى الزمان والمكان المشروطين فإن وعد ولكن عرض له عذر منعه من الوفاء فلا إثم عليه ولكن عليه أن يعتذر لمن وعده ليذهب ما فى نفسه من الغيظ والحقد وعلى المؤمن أن يفهم أن الوفاء للناس مثل الوفاء لله تعالى لأن الله سبحانه أوجب الأمرين قال تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وصلى الله على من قال (إن حسن العهد من الإيمان)

٣ — وأدوا إذا ائتمنتم

١ — الأمانة : هى الحصن المنيع الذى تحتمى وراءه الإنسانية ، بل الميزان الذى يحفظ توازن العالم بأسره ، ويحرس بقاءه سعيداً ، يؤدى الواجب كما طلب الله ، ويتاقى الأجر الكريم كما وعد ، إنها المسئولية الكبرى التى يضطلع بها الإنسان فى هذه الحياة ، ليؤدى رسالة الله فى الأرض ، كخليفة عنه ، وهى الركن الثانى فى هذه الدنيا لحكمة الخلق وإرضاء الخالق ، فالله سبحانه ، خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق ، وربط دوام هذا الكون وعمارته وسعادته بأداء الأمانة ، فبالحق والأمانة وُجد العالم واستمر ، ويوم أن ترحل الأمانة من هذا العالم ، وتختلط الحدود ، وتشتبه معالم الواجبات والحقوق ، ويُوَسَّدَ الأمر إلى غير أهله ، ويظن أهل الدنيا أنهم قادرون عليها — يومها تكون الساعة أدنى من شراك النعل إلى صاحبه ، ومن هنا عرض الله (الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها — وحملها الإنسان) ولو أضاف إلى حملها أداءها على الوجه الكامل لكان أسعد مخلوق وأعزه ، ولكنه (كان ظَلُوماً — لنفسه بالتقصير فى الأداء — جَهُولاً ، بعاقبة التفريط فى جنب الله) .

٢ — جعل الله من أسمائه العليا (المؤمن) وسمى عباده المتقين (المؤمنين) وصف ملائكته بقوله (مطاع ثَم أمين) وقال فى الرسل (إنى لكم رسول أمين) وأنعم بخلة تستمد أنوارها من رب العالمين ، وملائكته المقربين ، ورسله المبشرين والمنذرين .

٣ — قال تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال : (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) إذاً هى ليست بأمانة واحدة فحسب ، بل هى شعب كثيرة تغمر كل فروع الدين ، وتعم جميع الحقوق والواجبات فمراقبة الله فى السر كالعلن (أمانة) وطاعة الرسول فيما تأخذ وتذر (أمانة) وهذا الدين الإسلامى بأصوله وفروعه فى عنقك (أمانة) تذود عنه تحريف المبطلين ، وتوضح معالمه للسالكين ، وأوطان المسلمين كلها (أمانة) الله لدى كل مسلم ، يبذل فيها ماله ونفسه لتخليصها من المحتلين ، ويصون كرامتها لأهلها المؤمنين ، ثم أولادك وزوجتك ووالداك والأسرة كلها (أمانة) وكفى بك إثما أن تضيع من تعول ، ضياعاً ماديا بالإهمال فى النفقة ، أو ضياعا معنويا ، بالإهمال فى التربية . وأعظم الأمانات أمانة الشخص نفسه لدى نفسه ، (فأخسر الناس صفقة من باع دينه بدينا غيره) ومن هنا كانت الأمانة أشد شىء فى هذا الدين ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه (لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) — وقد أخبر الإسلام بأن الجليس إذا التفت وهو يتحدث فإنما هى أمانة لدى من يحدثه حتى لا يفشى سره — والأمانة تضخم وتعظم كلما كانت نتائج مخالفتها أبشع وأضر .

٤ — بلغ من تمكن هذه الصفة فى خلق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، أن سماه أعداؤه أنفسهم (الصادق الأمين) وكفى به فخرا (والفضل ما شهدت به الأعداء) وقام من بعده خلفاؤه الراشدون والذين

اتبعوهم بإحسان ، فساروا بالأمانة فى أنفسهم ومع أسرتهم ومع سائر الناس ، ثم مع دينهم ووطنهم حتى حققوا للدين إعلاء ، وللوطن رفعة ، حرم منهما أهل المدنية المموهة الخداعة — وفى مثلهم قال القائل :

« حُمِّلْتَ أمراً عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا »

ومن طرائف مراعاة (الأمانة) ما ورد فى الصحيح — أن رجلا اشترى من آخر عقاراً ، فوجد المشترى فى عقاره جرة ذهب ، فحملها بنفسه — الله أكبر — إلى البائع ، قائلا خذ ذهبك ، فقال البائع (الأمين) والله ما هى لى ، وما ينبغى لى أن آخذ ما لا أعلم — الله أكبر — فترافعا إلى مؤمن ليحكم ، فقال هل لكما من عيال ؟ فقال أحدهما ، لى غلام ، وقال الآخر ، لى جارية ، فقال الحَكَم ، زوِّجا الجارية للغلام وأنفقا عليهما من جرة الذهب — فانصرفا راضيين .

٥ — ومن الأمانة حفظ السر :

(١) قال تعالى : « إذ قال يوسُفُ لأبيه يا أَبَت إنى رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قالَ يا بُنَيَّ لا تقصص رُؤياكَ على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للإنسان عَدوٌّ مُبينٌ » كان فى إفشاء سر يوسف حقد إخوته عليه ، وكيدهم له ومؤامرتهم ضده والعمل على إبعاده عن أبيه بالقتل أو النفى ليخلو لهم الجو (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) وترتب على إفشاء السر أيضاً أن اتهموا أباهم بالضلال (ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منه ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين) وترتب عليه ، غرورهم بالله وكأنهم

ضمنوا طول الحياة (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) وإلقاؤه فى البئر — والحيلة مع أبيهم فى أخذه (مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) والكذب فى دم القميص والزهد فى ثمن بيعه (وكانوا فيه من الزاهدين) والخدمة فى البيوت مع المهانة والتعرض للبلاء من الفتن فى العرض والاغتراب وقسوة الأقارب والحرمان من التمتع بوالده ومن الحياة الحرة ، وإشاعة مقالة السوء عمن اختلطت به — والمجاهرة بالمعصية من مؤتمر النساء بالقاهرة — وسجنه وهو برىء بضع سنين إلى آخر تلك الشدائد التى مرت عليه وعلى أبيه وعلى إخوته فى ترددهم بين الشام ومصر لأخذ الميرة والتموين وحجز أخيهم من أبيهم لدى يوسف شقيقه — واتهامهم يوسف بالسرقة (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) ولنعتبر فى حفظ السر بما يأتى :

١ — حكاية ذى النون المصرى واختباره لتلميذه بوضع فأر له فى الطبق ليرى كتمه للسر ولما كشفه التلميذ ورأى الفار رجع إلى شيخه ساخطا فقال يا هذا لم تستطع حفظ فأر وكتم سره فكيف تكون مؤتمنا على أسرار الشريعة وحقوق الله وعباده ؟

٢ — (زوجة الرسول) وَإِذْ أَسَرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً (فلما نبأتْ بهوأظهرهُ اللهعليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) الآية إفشاء أم المؤمنين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ترتب عليه من فتن وقلاقل وتهديد الله (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

٣ — سيدنا أنس بن مالك خادم الرسول حاولت أمه أن تعرف شيئاً مما أرسله الرسول لأجله فقال أنس يا أماه ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ولا لأمي .

٤ — حاطب بن أبي بلتعة وإفشاؤه سر فتح مكة لامرأة من مزينة وما ترتب عليه لولا لطف الله .

٥ — أبو لبابة رفاعة بن المنذر وإفشاؤه السر ليهود بني قريظة بإشارته لحلقه يعني الذبح وعتاب الله له ، حتى ربط نفسه سبعة عشر يوما على سارية المسجد إلى أن تاب الله عليه .

٦ — في الأثر الصحيح استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود .

٧ — من الحكم من كتم سره مَلَكَ أمره — وقولهم (قلوب الأحرار قبور الأسرار) .

٨ — لا مانع من الاستشارة بل هي مطلوبة شرعا مثل الاستخارة تماما (لا خاب من استخار ولا ندم من استشار) بشرط أن يكون لذوي الرأي الصائب والإخلاص ، والأمانة ، وحب الخير للناس — وليس هذا إفشاء للسر بل تعاون على الخير واسترشاد بعقل الأمناء .

٩ — كم من نعمة زالت ، وعائلات تشتتت وبيوت خربت بسبب التسرع بإفشاء السر وعدم الثبات في الكلام . وسواء أكان إفشاء السر غروراً وافتخاراً أم كان خيانة وغدراً ، أم كان تسرعا وتهورا ، فإنه كارثة على الفرد وعلى الناس :

والعاقل من قل كلامه ، وحسن عمله ، وفكر قبل النطق ولم يستشر إلا أهل الإيمان والتقوى .

٤ ، ٥ — حفظ العرض

قال تعالى : (وقُلْ للمؤمنات يغضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ ويحفَظْنَ فُروجَهُنّ ولا يُبدِينَ زينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهرَ منْها وليضربْنَ بخُمُرِهِنّ عَلَى جُيُوبِهِنّ . . إلى آخر الآية) وقال صلى الله عليه وسلم « اضْمَنُوا لِي سِتًّا أضْمَنْ لَكُمُ الجنةَ » وعدّ منها « غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ واحْفَظُوا فُرُوجَكُم » .

عرض المرأة هو شرفها وتاجها الذى إذا صانته دام لها الوقار بين الناس والرضا من الله وإذا فرطت فيه كانت منبوذة من الناس ممقوتة من الله ، وهو مثل الزجاج أقل كسر فيه يظهر ولا يجبر ومثل اللبن أقل غبار يعكر صفوه ويغير بياضه .

٢ — عماد العرض غض البصر عما حرم الله وحفظ الفرج مما نهى الله وصون القلب عن التعلق بالأجنبي — وقد قال العلماء « النظر بريد الزنا فكم من نظرة ولدت كلاما فسلاما فمواعدة ففاحشة » والنبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن أثرها فيقول (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها مخافة من ربه أبدله الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه) ومتى كانت النظرة عادية وبريئة ومأمونة من الفتنة ولم يدمها الناظر بلا ضرورة فلا شيء عليه فيها ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) وكم فعل النظر فعله فى البيوت والأسر ففرق الزوجة من زوجها والزوج من زوجته وشتت شمل الأطفال الأبرياء

ولاسيما إذا صاحبه اختلاط وخلوة وفى الحديث (ماخلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) ولو أن الناس غضوا من أبصارهم واقتصروا على ما أحل الله لهم لدام للمنازل صفاؤها — ولنعتبر بأخبار الصحف التى لاتحصى والتى تنبئنا عن أثر النظر المحرم والاختلاط الشائن فى معاهد التعليم والمستشفيات وعلى شواطىء المصايف وفى دور السينما والمسارح وغيرها مما جعل الأخلاق فى انهيار تام وما خفى أكثر مما ظهر .

٣ — مما يساعد على منع الجريمة وغض البصر أن تتقى المرأة ربها فى ملبسها وزينتها فتقصر ذلك على بيتها وزوجها وإذا اضطرت إلى الخروج فلتلبس ثياب الوقار والحشمة ولتخف معالم العورة من شعرها ونحرها وصدرها وساقيها ويديها حتى لا تفتح لشباب الميوعة باب الكلام ، وفى الحديث (أيما امرأة خلعت ثوبها فى غير بيت زوجها إلاّ هتكت الستر بينها وبين ربها) وقال (إن المرأة إذا استعطرت ثم مرت بالقوم ليشموا ريحها فهى زانية) .

٤ — الناظر إلى ما حرم الله عليه ، مثله كشارب الماء الملح كلما ازداد شربا ازداد عطشا ولا تقف نفسه الطامعة عند حد حتى يتشوش خاطره وتتبلبل أفكاره ويضيع وقته .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وكل امرأة تستمتع بغير زوجها فى نظرة أو لمس فقد خانت ربها وزوجها وعفافها ، والجنة محرمة على المرأة حتى تعمل بهذا الحديث (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت زوجها وحفظت عرضها دخلت جنة ربها)

٥ — نعتبر بقصص أصحاب العفة الذين أكرمهم الله — ومنهم المرأة التي عضها الجوع ، وصدقت لله فى السجود والركوع حينما استمسكت بالعفاف وهى جائعة مع أولادها وهدى الله على يديها الرجل السكير الماجن — وقصة يوسف عليه السلام فى نزاهته مع زليخا امرأة العزيز وكيف برأه الله وملَّكه ملك مصر بسبب تقواه كما قال الله عن لسانه (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وقصة المرأة المؤمنة التى أراد زوجها اختبارها فى خارج المنزل ولمسها فى ظلام فقالت وهى لا تعرفه كُفَّ يدك قطعها الله وأحرقها بناره . . . وقصة المرأة التى أكرهها مجرم على معصية ولما أغلق الأبواب قالت له بقى باب لم يغلق فسألها عنه فقالت باب الله الذى يسمع ويرى ولا تخفى عليه خافية فانزعج الرجل من قولها وتركها تائباً إلى الله .

٦ — مهما خفيت خيانة العرض فلابد من ظهورها ولو بعد حين وفى الحديث (لو عمل أحدكم عملا داخل حجرة لا منفذ لها لأظهر الله عمله للناس كائناً من كان) ومن تاب تاب الله عليه وبدل سيئاته حسنات .

١ — قال الشاعر فى هذا المعنى :

عِفُّوا تَعِفُّ نساؤُكم فى المحْرَمِ ... وتجنَّبُوا ما لا يَليقُ بمُسْلِمِ

إنَّ الزنا دَينٌ فإنْ سَلَّفْتَهُ ... كانَ الوَفَا من أهْل بيتِكَ فاعْلَمِ

مَنْ يَزْنِ فى امرأةٍ بألفَيْ درهم ... فى بيته يُزْنَى بغير الدرهم

يا هَاتِكاً حُرُمَ الرجالِ وقاطِعاً ... سُبُلَ المودةِ عِشْتَ غير مكرَّمِ

لو كنتَ حُرًّا من سُلالةِ طاهر ... ما كنتَ هَتَّاكاً لحُرْمَةِ مُسْلِمِ

٦ – منع الأذى

فى آخر الحديث الذى سبق شرحه قول النبى صلى الله عليه وسلم (وكفوا أيديكم) كف اليد معناه منع الأذى .

١ — من صفات المؤمن الصادق المخلص أن يبعد أذاه عن الناس أذى اليد واللسان وظن السوء بلا مبرر فإن وصف المؤمن اختاره الله تعالى من الأمن والأمانة فمن لم يحقق الأمن لغيره ويتعامل مع الناس بالأمانة إرتفع وصف المؤمنة وفى الحديث (المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم) وقال (لا إيمان لمن لا أمانة له) وأيضاً اختار الله لمن تمسك بشريعة نبيه وصف (مسلم) ومعناه أن يسلم الناس من شره ويكون سلاما على كل ما سواه وفى الحديث (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) .

٢ — كل أذى اقترفته اليد شهدت به على صاحبه يوم القيامة قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون — يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) وقال سبحانه (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقد بين القرآن عاقبة المؤذين للناس فقال : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً) .

٣ — نعتبر بهذا الحديث القدسى عن الله عز وجل الذى أوحاه إلى نبيه داود قال (ياداود أحب عبادى إلى تقى القلب نقى الكفين لا يأتى لأحد بسوء ولا يمشى بين الناس بالنميمة تزول الجبال ولا يزول أحبنى وأحب من يحبنى

وحببنى إلى عبادى — قال داود يارب وكيف يحببك إلى عبادك ؟ قال يذكرهم بنعمى وآلائى — ياداود ما من عبد يعين مظلوماً أو يمشى معه فى مظلمته إلا ثبت قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام) .

فى هذا الحديث عدة فوائد ينبغى للمؤمن أن يراعيها

١ — تقوى القلب . فإنه منبع الصلاح والفساد وهو الموزع العام على سائر الأعضاء فإن صلح صلح الجميع وإن فسد فسد الجميع وكان صلى الله عليه وسلم يشير إلى صدره بيده ثلاث مرات ويقول (التقوى ههنا) فلا يدخله غل ولا حقد ولاظن سوء بأحد بلا مقتضى ولا يدخله رياء بل يملؤه بالإخلاص والمحبة لله ولخلقه جميعاً يدعو لمهتديهم بالمزيد ولعاصيهم بالمتاب — دائم الفكر فى مصنوعات الله وملكه البديع .

٢ — نقاء الكفين : كناية عن طهارتها من اقتراف الأضرار وتوصيل الأذى للناس كما ذكرنا بحيث لو كشف عن بصائرنا الحجاب لرأيناها مملوءتين بالخيرات طاهرتين من الشر — وقد فسر الحديث ذلك فقال (لا يأتى إلى أحد بسوء ولا يمشى بين الناس بالنميمة) ومعناه لا يعمل الأذى مطلقاً قولا ولا عملا ولا نية حتى يصير طاهراً مطهراً .

٣ — تزول الجبال ولا يزول : معناه الثبات على مبدأ الحق وشريعة الصدق وطريق العدل لا يحيد عنه إلى غيره مهما اعترضته العقبات بحيث أن المرء يتصور أن جبلا قد ينزاح عن مكانه لأى مؤثر أما المؤمن فيثبت ولا تزحزحه عواصف الشكوك ولا المساومات كما قال الرسول (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى ينصرنى ربى

أو أموت دونه) وكما وصف الله عباده الصادقين فقال (وكأيٍّ من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين — وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) .

٤ — ومن صفات المؤمن أن يحب الله وكل ما يتصل به وكل من يحب الله بل ودائماً يذكر الناس بفضل ربهم عليهم حتى يحبوه — ولا شك أن كل من كان كذلك أحبه الله ورضى عنه (يحبهم ويحبونه) وقال (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وتلك المحبة المتبادلة بين الله وعبده هى الباقية لأن صاحبها تعالى باق لا يفنى وكل محبوب سواه يزول .

٥ — نصر المظلوم والسعى لفك الظلم عنه ورفع الضيم من أَجَلِّ صفات المؤمن والجزاء من جنس العمل فكما تسعى أنت لنصر المهضوم ينصرك الله وكما تثبت حقه يثبت الله قدميك على الصراط فى يوم تشيب فيه الولدان ويتجلى الحكم الديان وتذهل كل المراضع عما أرضعت (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ولقد كان عبد الله بن عباس معتكفا فى مسجد رسول الله الذى فيه صلاة ركعة واحدة بألف ركعة فى غيره فجاءه رجل طلب منه التوسط له فى قضاء حاجة فأسرع ابن عباس وخرج معه فقال له الناس إنك معتكف والخروج من المسجد يبطل الاعتكاف فقال رضى الله عنه (سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (من سعى فى حاجة أخيه قضيت أو لم تقض كان خيراً من اعتكافه فى مسجدى هذا عشر سنين) وبالعمل على هذا نسعد ونفلح وبالله التوفيق .

قيمة الزمن لدى المؤمنين

١ — الزمن هو أغلى ما يملك الإنسان فى هذه الدنيا فإن كل شىء يضيع من مال أو يفقد من عيال أو من غيرهما قد يعوض ولكن الساعة التى تمضى من الحياة تذهب إلى حيث لا ترجع إلى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم (ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وهو ينادى يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإنى لن أعود إلى يوم القيامة) ومن أخر التوبة أو أجل أداء الواجب اعتماداً على تجدد الأوقات فهو مخطىء لأن كل وقت جديد يأتى بواجباته الجديدة والتأخير يجعل الأعمال متراكمة فيكسل المرء بل يعجز عن أدائها ويصير ممن قال الله فيهم (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) يعنى انفرط أمره وتشتت حاله فأصبح يعيش حائراً ضالا .

٢ — يلاحظ أن مفاجآت الدهر لا ميعاد لها فقد يؤخر العاصى التوبة اتكالا على فسحة الوقت أو طول العمر فيفاجأ من الله بما لم يخطر له على بال فلا يدرك عملا ولا وصية ولا توبة قال تعالى (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) وقال الشاعر العربى :

تزود من التقوى فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح ساهياً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

٣ — بين القرآن قيمة الوقت وخسارة المفرطين فقال (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) وقال (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت . كلا) وفى الحديث (إن العبد بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن حياته لموته ومن الشبيبة قبل الكبر فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) .

٤ — أشد أنواع الأسف يوم القيامة الأسف لضياع الأوقات فى الدنيا من غير طاعة ففى الحديث (أكثر صياح أهل النار وا أفٍّ لمسوف) وقال (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت عليهم لم يذكروا الله فيها) وقال (من علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وإن امرؤ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير بأن تطول عليه حسرته ومن بلغ الأربعين من عمره ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار) .

٥ — على المؤمن أن يعتبر بانقضاء ساعات العمر وبإقبال الليل وبإدبار النهار وعكسه قال تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) وقال (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) وإن لسان حال الميت الدفين فى قبره ينادى الزائر الحى قائلا (آه يا فلان . ليتنى كنت مكانك الآن . بعد أن رأيت حساب الديان . فأقدم لله طاعة ينفعنى ثوابها)

٦ — على المؤمن أن يبتعد عن الغيبة والنميمة والكذب واللغو وأن يملأ حياته بالنافع من الأقوال والأعمال ليلقى الله سالماً غانماً ولا يستهين بأى طاعة وإن صغرت فقد أخبر الرسول بدخول رجل الجنة لأنه سقى كلباً ورجل آخر لأنه أزال غصن شوك عن الطريق كما أخبر عن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها حتى ماتت . وبالله التوفيق .

فى الحديث القدسى :

عبدى : انظر إلى السماء وارتفاعها ، والشمس وضياؤها ، والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والأوقات وإتيانها ، والفصول وأزمانها ، وانظر إلى ما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، وانظر إلى المستيقظ والراقد ، والراكع والساجد ، الكل يشهد بجلالى ، ويقر بكمالى ، ويملن عن ذكرى ، ولا يغفل عن شكرى ، عبدى : أذكرك وتنسانى ؟ وأستر عليك ولا ترعانى ؟ لو أمرت البحار لأغرقتك فى معينها ، أو الأرض لابتلعتك من فورها ، ولكن أحميك بقدرتى ، وأمدك بقوتى ، وأؤخرك ليوم أجّلتُه ، وأمد وقّتُّه ، فوعزتى لابد لك من الورود علىّ والوقوف بين يدىّ ، أعدُّدُ عليك أعمالك ، وأذكِّرُكَ أفعالك .

بالإيمان تمت الهجرة ونجحت

١ — دين الله لا بد أن ينتصر مهما اعترضته العقبات فقد آذى الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل صنوف الأذى وصبوا عليه البلاء فى نفسه وأهله وفى أصحابه ورموه بأنه ساحر ومجنون وفقير وشاعر ومع ذلك فما تضعضع — فعرضوا عليه المرغبات من مال وجاه ورئاسة فما تنازل قط فقاطعوه مع أصحابه المسلمين وأسرته من بنى هاشم ممن حموه مدة ثلاث سنوات حتى أضر بهم الجوع والحصار ، وكانوا يتبعونه فى كل طريق يدعو إلى الله فيه ليصرفوا الناس عنه ويشوهوا دعوته ومع ذلك كله فما كان للرسول مع هؤلاء جميعاً إلا مبدأ واحد (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى ينصرنى الله أو أموت دونه ما تركته) هذا مبدؤه مع الخلق أما مع الخالق جل وعلا فهو (إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى) (والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

٢ — قامت المرأة المسلمة فى الهجرة بخدمات للإسلام تشكر عليها — فأسماء بنت أبى بكر تربط وعاء الزاد بنطاقها وتشترك فى تجهيزه مع عائشة — وأسماء تذهب كل ليلة إلى الغار متحملة صنوف المشاق فى السهر والسفر والتعرض لأخطار الأعداء والطريق وذلك لتعطيهما ما يحتاجانه من الطعام — وأم معبد التى مر عليها الرسول فى الطريق وصفته لزوجها وصفاً طيباً صادقا عرف به أنه النبى الصادق — وكل هذا يدل على أن المرأة تستطيع أن تقدم لدينها خيراً كثيراً خاصة وأبو بكر هاجر بماله كله

وترك عياله فى كفالة الله ولما سأل والده أسماء هل ترك أبوك شيئاً ؟ وكان كفيفا وضعت يده على جراب ملىء حصا ظنه مالاً وقالت « ترك لنا هذا كله » فاطمأن جدها وقال لقد ترك خيراً كثيراً — تقول أسماء ووالله مافى البيت يومئذ كف من دقيق ولا شربة من سويق .

٣ — على بن أبى طالب قام بدور الفداء فنام على فراش الرسول ليلة الهجرة وهو موقن أن السيوف تنتظر جنح الليل لتهجم عليه فتقتله وهذا من كمال إيمانه بالله وثقته فى رسوله وحبه له وقد حفظه الله تعالى فسلم من كيدهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وعبد الله بن أبى بكر قام بدور نقل الأخبار من مكة إلى الغار وعامر بن أبى فهيرة راعى الغنم للصديق كان يقوم بدور التعمية على الكفار ويسرح بالغنم قرب الغار لتضيع آثار الأقدام الآتية والذاهبة ، وعبد الله بن أريقط مع أنه لم يثبت إسلامه ولكن فراسة الرسول فيه وثقته به جعلته يأتمنه على أخطر الأسرار وهو حفظ الناقتين لديه على أن يأتيهما بهما عند الغار بعد ثلاثة أيام ومع حرص الكفار على القبض عليهما ودفع الجوائز فما أفشى هذا الأمين السر بل أدى الأمانة كاملة وكل هذا من إكرام الله وحفظه لدينه .

٤ — نجاة الرسول وقت الخروج من بيته مع انتظار الشباب له ليقتلوه ونجاته فى الغار مع ظهور الأثر عنده ونجاته عند ادراك سراقة له وإساخة قوائم فرسه بالأرض ، ونجاته فى الطريق بين مكة والمدينة مع بعد المسافة — ١٢ يوما — كل ذلك دليل على عقلية الرسول المستنيرة وعلى عناية الله به لتتم رسالته كما أراد الله — خاصة إذا اعتبرنا بنسج العنكبوت وبيض الحمام ونبات الشجر (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقول الرسول لأبى بكر رضى الله عنه (ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن إن الله معنا) .

٥ — الرسول مع كون الكفار آذوه كثيراً لكنه حرص على رد الودائع لهم كاملة عند الهجرة وأداها علىّ بالنيابة عنه وهذا دليل على أن المسلم ينبغى أن يتخلق بالأمانة والصدق ولو مع أعدائه الكفار ليكون عنوانا طيبا على صدق الإسلام .

٦ — الرسول لم يبغض مكة التى طردته وآذته ولكنه قال وهو خارج (والله إنك لأحب البلاد إلى الله وأطيبها عندى ولولا أن أهلى أخرجونى منك ما خرجت) وقد آخى عند وصوله المدينة بين المهاجرين والأنصار ليكونوا قوة للاسلام متحدة ، وبنى المسجد النبوى لإظهار شعائر الإسلام وجمع المسلمين على الهدى والحق . صلى الله عليه وسلم .

٧ — لولا هجرة الصحابة إلى الحبشة والمدينة — والرسول إلى المدينة لما قامت للاسلام قائمة والمؤمن دائما يتحايل على الخير ولا يقنط من رحمة الله .

قتال ، وقتال

قال تعالى : « الذينَ آمنُوا يقاتِلونَ فى سبيلِ اللهِ ، والذينَ كفَرُوا يقاتِلونَ فى سبيل الطَّاغوتِ ، فقاتِلوا أولياءَ الشيطانِ ، إنَّ كيد الشيطانِ كانَ ضَعِيفاً » .

المؤمن يقاتل فى سبيل المُثل العليا وإقرارها ، وإبرازها ممثلة فى الحياة الواقعية ، وهو لذلك صاحب هدف رفيع يسعى لتحقيقه ، وروحه المعنوية العالية تهزم عشرة من الذين كفروا ، لأنهم يقاتلون فى سبيل محو العدل وإقرار الظلم ، وهضم الضعيف واستنزاف دماء البرؤاء ، وهذا هو سبيل الطغيان والطاغوت والشيطان ، والله دائماً مع المؤمنين .

شعب الإيمان المنجيات

عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صُفّةٍ بالمدينة فقام علينا فقال : إنى رأيت البارِحَةَ عجباً .

* * *

١ — رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد ملك الموت عنه .

٢ — ورأيت رجلا من أمتى قد احْتَوَشَتْه الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه .

٣ — ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم .

٤ — ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه .

٥ — ورأيت رجلا من أمتى والنبيون جلوس حلقاً حلقاً كلما دنا منهم طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده وأجلسه إلى جنبى .

٦ — ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ويساره وفوقه ظلمة وهو متحير فجاءه الحج والعمرة فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور .

٧ — ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظلا على رأسه .

٨ — ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يا معشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلّموه وصافحُوه .

٩ — ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله فى ملائكة الرحمة .

١٠ — ورأيت رجلا من أمتى جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل .

١١ — ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه .

١٢ — ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءه أفراطه أى الذين ماتوا قبله من الأولاد فثقلوا ميزانه .

١٣ — ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه فى الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى .

١٤ — ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكاها من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك .

١٥ — ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة (أى الخوصة) فى يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن .

١٦ — ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته عَلَىّ فأقامته على قدميه وأنقذته .

١٧ — ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة ألا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة .

ملاحظات على هذا الحديث

قال الحافظ أبو موسى المدينى هذا حديث حسن جدا — وقال شيخ الإسلام إنه من أحسن الأحاديث :

وامتياز هذا الحديث بأنه ذكر أولا العقوبة ثم ذكر ما ينجى منها من فروع الإيمان وفى هذا تنبيه على أن الواجب على المؤمن أن يكثر من الطاعات والحسنات حتى تكون سببا فى نجاته من كرب الدنيا وعذاب الآخرة وقد اشتمل الحديث على هذه الطاعات :

(١) بر الوالدين . (٢) ذكر الله . (٣) الصلاة .
(٤) الصيام . (٥) الغسل من الجنابة . (٦) الحج والعمرة .
(٧) الصدقة . (٨) صلة الرحم . (٩) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . (١٠) حسن الخلق . (١١) الخوف من الله عز وجل (١٢) الصبر على موت العيال . (١٣) الرجاء فى الله عز وجل .
(١٤) الدموع من خشية الله . (١٥) حسن الظن بالله عز وجل .
(١٦) الصلاة على الرسول . (١٧) الشهادتان .

الحرية السليمة ، فى الإيمان الصحيح

اشتراط إذن الزوجة ورضاها فى الزواج

١ — فى فتح البارى بشرح البخارى ص١٥٧ جـ ٩ (باب — لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تنكح الأيِّمُ حتى تستأمر — ولا تنكح البكر حتى تستأذن) الأيِّم هى الثيب — تستأمر أى لا يعقد عليها إلا بعد أن تأمر وترضى — والبكر لابد من إذنها إما صراحة وإما سكوتاً مع الرضا إن استحيت من التلفظ — وفى ص ١٥٩ (باب — إذا زوج الرجل ابنته وهى كارهة فنكاحه مردود) ثبت أن خنساء الانصارية الصحابية زوجها أبوها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها — وفى رواية أن أباها زوجها رجلا ولها رغبة فى آخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكرهوهن — وفى رواية أن بكراً زوجها أبوها وهى كارهة فرد النبي نكاحها وكان الزوج غير كفء لها . وقال الأوزاعى والحنفية والثورى وأبو ثور (إذا عقد الأب على ابنته البكر البالغ بغير إذنها لم يصح العقد لأنه يشترط الاستئذان) كل هذا فى البخارى وشرحه للإمام الحافظ ابن حجر .

٢ — فى كتاب (نداء للجنس اللطيف ص ١٦) منع الإسلام الاستبداد فى تزويج البنات والأخوات ونحوهن بغير رضاهن وكان الإكراه من ظلم الجاهلية لهن بل لا يزال الوالدان يكرهان البنات على

الزواج لمن يكرهن من الرجال فى جميع الأمم على ما فيه من الشقاء والفساد — كذلك منع الإسلام المرأة من التزوج بغير كفء يرضاه أولياؤها وعصبتها — وليس لوالدها ولا لوليها أن يمتنع من زواجها بأى كفء ترضاه — أخرج أحمد والنسائى أن فتاة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت إن أبى زوجنى لابن أخيه ليرفع بى خسيسته قال فجعل الرسول الأمر إليها فقالت قد أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شىء — تعنى أنهم ليس لهم اكراههن على التزوج بمن لا يرضين — وفى الحديث (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ثم بين الكتاب المزايا التى منحها الإسلام للمرأة وشرح رئاسة الرجل عليها وما وصاه به نحوها من الرفق وحسن الخلق والمعاشرة بالمعروف .

٣ — فى كتاب الرجل والمرأة ، للدكتور وصفى ص ٢٢٠

للمرأة إذا أعجبها رجل من أهل الصلاح والتقوى أن تعرض نفسها عليه والدليل ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود أن امرأة أتت رسول الله وقالت جئت أهب لك نفسى فسكت فقام رجل من الصحابة وقال إن لم يكن لك بها حاجه فزوجنيها . ولها أن تطلب من وليها أن يزوجها من رجل رأت فيه الكمال كما حدث لابنة شعيب عليه السلام لما رأت موسى وقوته وأمانته قالت (يا أبت استأجره إن خيرَ من استأجرتَ القوىُّ الأمين) ومعنى استئجاره تزويجه بها ولذلك أدرك أبوها غرضها وقال لموسى (إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين) ثم ذكر أنه صلى الله عليه

وسلم كان إذا أراد أن يزوج امرأة يأتيها من وراء حجاب فيقول لها (يا بنية إن فلانا خطبكِ فإن كرهت فقولى لا فإنه لا يستحى أحد أن يقول لا وإن أحببت فإن سكوتك إقرار) وفى رواية (النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته) كما قالت عائشة .

٤ — فى كتاب الزواج والمرأة للأستاذ أحمد حسين ص ٤١

متى رشدت البنت بإدراك سن البلوغ وهو ما تبلغه الفتيات فى الشرق فى سن مبكرة جداً لم يعد من الجائز لأحد أن يتصرف فى حريتها الشخصية بزواجها حين لا تريد الزواج أو بالحيلولة بينها وبين الزواج حين تريده أو بإكراهها على زواج من لا تحب أو تختار . ثم ذكر حديث المرأة التى زَوَّجَها أبوها لابن أخيه بغير رغبتها ورد النبى زواجها وحديث إن امرأة قالت للرسول إننى خطبت فأخبرنى ماحق الزوج فقال (لو كان زوجك من رأسه إلى قدمه دماً فلحسته بلسانك حتى نظفتيه ما أديت حقه) فقالت والذى بعثك بالحق نبياً لا اتزوج ما بقيت الدنيا . ثم قال وليس وراء هذا النص إظهار لمدى الحرية التامة المطلقة التى منحها الإسلام للمرأة — فهذه فتاة قد أنكرت على أبيها أن يزوجها بغير رضاها مع أنها ليست كارهة لمن تزوجت فلما خيرها الرسول ورأت كرامتها تحققت رأت الاحتفاظ بالزواج بعد أن فازت بتقرير المبدأ — وعليه لو تم الزواج بغير رضاها فلها أن تسعى لفسخ العقد حتى بعد تمامه — ولم تفز المرأة الحديثة فى أرقى المجتمعات حضارة بهذا الحق إلا فى عصور متأخرة جداً من الناحية النظرية فقط بينما كانت المرأة المسلمة تتمتع به نظرياً وعملياً منذ ١٣٠٠عام .

وإذا كان الإسلام قد جعل فسخ الزواج بالطلاق من حق الرجل

وحده فقد نظر الإسلام فى ذلك لصالح الأسرة وضمان بقائها — فالرجل دائماً أبداً أحرص على بقاء الزوجية من المرأة بسبب ما أنفق من مال وتكبد من عناء حتى ظفر بزوجته وهو على العموم أملك لنفسه من المرأة عند الغضب فإنها تعصف بها العواطف حتى تنسى فى لحظة واحدة عشر سنوات من الهناء والمودة والحب — وذلك لفرط حساسيتها وسرعة استجابتها للعاطفة ومن أجل هذا السبب وحده قرر الإسلام أن يكون الطلاق من حق الرجل — ولكنه لم يحرم على المرأة استعمال هذا الحق بل أباح لها إذا شاءت أن تشترطه عند تحرير العقد فيكون لها من الحق فى تطليق نفسها مثل ما لزوجها وهو ما يعبرون عنه فى الاصطلاح (العصمة) فيقولون (عصمتها بيدها) وحتى لو لم تشترط هذا الشرط لنفسها فإن بمكنتها دائماً أن تلجأ إلى القضاء إذا رغبت فى الطلاق وجدّ من الأسباب الطارئة ما يبيح الطلاق لعيب خفى أو لمرض خطير أو عجز عن الانفاق أو غيبة مستمرة أو هجر طويل أو شقاق مستحكم . . . . .

فإذا انفضت الشركة بينهما سواء بالطلاق أو بوفاة الزوج فقد عاد للمرأة كامل حريتها فى التصرف فى شخصها بالمعروف وليس لأحد كائناً من كان اكراهها على زواج جديد أو عودة للقديم قال تعالى (فإذا بَلَغْنَ اجَلَهُنّ فلا جناح عليكم فيما فعلْنَ فى أنفسهنّ بالمعروف) وقال تعالى (ولا تُمْسِكُوهُنّ ضِراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (لا تَعْضُلوهُنّ أنْ يَنكِحْنَ أزواجَهُنّ إذا تَراضَوْا بينهم بالمعروف) إلى آخر الآيات والآثار التى تدل على إبراز حق المرأة فى حرية التصرف بشخصها وألاّ سلطان عليها من أحد إلا الزوج فى أثناء الزوجية بالقيود والشروط المعروفة .

الخلاصة

يتلخص مما سبق أن كل النصوص مجمعة على وجوب أن يكون بين الزوجين ما أمر الله به من الهدوء والحب والتعاطف قال تعالى : (لِتَسْكُنُوا إليها — وجعل بينكم مودةً — ورحمةً) والزواج تعاون وشركة فإذا لم يحقق ما شرع لأجله ففى الفرقة راحة للجميع قال تعالى : (وإن يتفرَّقا يغْنِ الله كلا من سَعَته) وفى الحديث (تزوجوا الودودَ) أى المُحِبةَّ) وقال : (إنما الزواج عن وداد) ومن سنة الرسول أنه لم يجد للمتحابين من دواء غير الزواج وهذا هو الحب العف المبنى على النظر المباح والنية الصادقة فى غير ما اختلاط شائن ولا إثم مبين ، فمن محاسن الإسلام أن جعل للزوجين عند تعذر العشرة بينهما مخرجا بالفراق الشرعى وقد أعلن (نهرو) زعيم الهند أن بلاده ستبيح الطلاق بعد تحريمه قائلا (كيف نلزم زوجين بالعشرة معا مع يقيننا أن حياتهما معا فى خطر) بل قدم (إيدن) الآن لمجلس العموم مشروعا يبيح الطلاق لجملة أسباب كثيرة ، تخلصا من المآزق التى رعاها الإسلام فى تشريعه الحكيم ، وقد رأينا كيف أن الإسلام حرم إمساك المرأة ضراراً وكيف وصى بهن الرسول فى مرض موته وقال (خيركم خيركم لأهله) وأنه يحق لكل زوجة متى أثبتت عدم الانسجام بينها وبين الزوج وأنهما أصبحا غير متعاونين على إقامة حدود الله وأن وجودهما معاً سيعرض حياتها للخطر وعشرتهما للشقاء فلها أن ترفع الأمر للقاضى وعليه حينئذ أن يحكم بالفراق الجبرى إن لم يرضخ الزوج للطلاق الودى ففى الحديث (السلطان ولى من لا ولى له) والله أعلم وأحكم .

حِكمٌ — وعِبرٌ

« ومَنْ يؤت الحكمة
فقد أوتى خيراً كثيراً »
(قرآن كريم)

١ — عطايا :

(ما أعطاك الناس يأخذه الناس ، وما أعطتك الأرض تأخذه الأرض ، فابحث عن عطايا لا تسترد) .

٢ — كُنْ . . . ولاَ تَـكُنْ :

(إذا لم تكن ماء ، فكن دلوا ، وإذا لم تكن دلواً ، فكن حبلا ، وإذا لم تكن حبلا فكن بكرة ، ولا تكن ذلك الحجر الذى يقذف فى البئر ليسمع صوته فى الماء) .

٣ — المجتمع :

(المجتمع كحفلة الرقص المقنعة ، يخفى فيها كل إنسان شخصيته ، ولا يكشف عنها إلا فى بيته) .

٤ — زوجة مثالية :

(قالت فاطمة : من أجَلّ ما منّ الله علىّ به أنى لم أفش سراً لعلى ، ولم أنظر لغير على) .

٥ — القانون :

(القانون يطحن المساكين ، أما أصحاب النفوذ فيحكمون القانون) .

٦ — خوف الله :

قال أعرابى لعمر يستعطفه : ياعمرَ الخيرِ جُزِيت الجنة . أكسُ بُنيَّاتى وأمهنه ، وكن لنا من الزمان جُنه ، أقسم بالله لتفعلنه . فقال عمر : وإذا لم أفعل ؟ فقال : إذن أبا حفص لأذهبنه ، فقال عمر : وإذا ذهبت ؟ فقال : يكون عن حالى لتسألنه ، يوم تكون الأعطيات هَنَّه ، وموقف المسئول بينهن ، إما إلى نار وإما إلى جنة . فبكى عمر وبكى ، ثم قال : يا غلام إعطه قميصى هذا لله لا لشعره ، والله لا أملك غيره .

٧ — الكرامة :

(ليس لإنسان مهما كان أن يشعرك بأنك أقل منه ، إذا لم ترد أنت ذلك) .

٨ — هموم :

(كلما زاد ما فى جوزتك عن حاجتك ، زاد همك وكثر رزؤك) .

٩ — العلم :

(العلم مثل التجديف ضد التيار ، إن لم يحرز التقدم فهو ناكص إلى الوراء) .

١٠ — وطنية :

(أوصى جندى مجرى باسل (إذا أنا مت فاسلخوا جلدى ، واصنعوا منه طبلا ، ليكون صوتى نائباً عنى بعد قتلى)) .

١١ — إنصاف :

(من أمعن النظر فى عيوبه ، وجد لديه كثيراً مما يغضب عليه من غيره) .

١٢ — مقدمات :

(إن الحوادث المقبلة ، تسقط ظلالها أمامها) .

١٣ — الحسد :

قال معاوية لابنه (إياك والحسد ، فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك) .

وأتعب خلق الله من بات حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب

١٤ — لسان المرأة :

(إن نار السعير قد تذيب كل قطعة فى جسد المرأة إلا لسانها) .

١٥ — عند الكمال تقل الأقوال :

(البجعة إذا تم نضجها ، تفقد صوتها) .

١٦ — عزاء :

(أوصى الاسكندر المقدونى أمه عند موته بأن تصنع طعاما بعد دفنه تدعو إليه من لم يصبه حزن قط ، ففعلت فما أتاها أحد ، فقالت ما عزانى أحد بمثل ما عزانى ولدى) .

١٧ — الالهام :

(كل الأفكار الهائلة ، والمعانى العظيمة ، انما تهبط على الناس فى الظلام) .

١٨ — التفكير والعمل :

(خير لك أن تعمل لتجتنب هم التفكير ، من أن تفكر لتجتنب هم العمل) .

١٩ — يملك ما يشتهى :

(حضر ابن عباس وليمة دسمة ، وبعد الفراغ منها قال : الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه ، فقال له صديق ، وهل من أحد لا يشتهى مثل هذا ؟ فقال ابن عباس ، نعم كثيرون يملكون ولا يشتهون ، وكثيرون يشتهون ، ولا يملكون ، وكثيرون لا يشتهون ولا يملكون) .

٢٠ — شاهدان :

(رأى عمر قصراً لأميره على البحرين ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تطل بأعناقها . ثم قال : لى على الخائن شاهدان ، الطين والماء ، يعنى البناء)

٢١ — السعادة :

(إن أسعد الناس سواء كان ملكا أو فلاحا ، ذلك الذى يجد فى بيته السلام) .

٢٢ — كيف نرخص الغلاء :

وإذا غلا شىء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

٢٣ — عزة :

ما لنا نعبد العباد إذا كان إلى الله فقرنا وغنانا
نصف رغيف مشبع لمن عقل فالذل يا هذا لماذا يحتمل ؟

قالت : أسماء بنت الصديق :

(لضربة بالسيف فى عز ، أحب إلىّ من ضربة بالسوط فى ذل) :

٢٤ — اتجاهات :

(من كان شبعه فى الطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان غناه فى المال لم يزل فقيراً ، ومن قصد بحوائجه الخلق لم يزل محروماً ، ومن استعان فى أمره بغير الله لم يزل مخذولا) .

٢٥ — صرامة فى الحق :

خوفت عمرَ بنَ عبد العزيز عَمَّتُهُ أم عمر من غضب أقاربه الذين استرد الأمير منهم المظالم ، وقالت : أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً — فقال عمر كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره) .

٢٦ — ثلاثة :

ثلاث من كن فيه كن عليه ، المكر ، لأن الله يقول (ولا يحيق السيء إلا بأهله) والبغى ، لأن الله يقول (يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) والنكث لأن الله يقول (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) .

٢٧ — (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

٢٨ — الأرض :

لا يبلغ أحدكم أن يكون من المتقين ، حتى يكون مثل الأرض ، عليها أذاهم ، ومنها منفعتهم .

٢٩ — الإحسان :

الإحسان لمن أحسن إليك متاجرة ، وإنما الإحسان لمن أساء إليك .

٣٠ — من القرآن :

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)

٣١ — شرط العامل والموظف :

(إن خيرَ من استأجرْتَ القوىُّ الأمين)

٣٢ — شرط وزير المالية :

(اجعلنى على خزائن الأرض ، إنى حفيظ ، عليم)

٣٣ — الحق :

قال عمر : (ا) (يا حق ما أبقيت لى صديقاً) .

(ب) (الحق بطىء ، ولكنه يجىء) .

(حـ) (إنما ثقلت موازين قوم يوم القيامه ؛ لأنهم قاموا بأداء الحق الثقيل عليهم ، وخفت موازين آخرين ، لأنهم تركوه إلى شهواتهم) وفى الحديث : (حفت الجنة بالمكاره ، والنار بالشهوات) .

نداء

الى عبّاد المدنية الزائفة، والحضارة الكاذبة، الذين استهوتهم أساليب الغرب الماكر ، وغرهم بريق الدولار الأمريكى ، فركعـوا أمامه أذلين ، وسجدوا تحت أقدامه مستجدين .

الى شرذمة الجبن والميوعة والتحلل ، الذين كلما جاءهم حق من الشرق رفضوه ، وان جاءهم باطل من الخارج احتضنوه لا لشيء الا لأن الأول شرقي ، والثاني غربى ، أية كرامة أهدرتم، وأى مجد أضعتم ، بسيركم فى ركاب عباد الدولار والدينار ، الكافرين بكل خلـق كريم ، المتحـكمين فى رقاب الضعفاء ، والمستنزفين لدماء الشعوب ، والمساعدين لكل معتد أثيم .

أعرضتم عن هدى السماء ، ولم تؤازروا فى دفع عجلة الوطن الى ماأريد له من استقلال ورفاهية ، وانطلقتم الى البلاد الأجنبية جاهلين وعدتم الى أوطانكم كافرين ، نعم كافرين بوطنيتكم وكافرين بأيمانكم — وذلك هو خسران الدنيا والآخرة ، بل ذلك هو الضلال المبين ، وياليتكم وقد عبدتم أوروبا وأمريكا حفظت لكم صنيعا ، أو أبقت لكم لديها يدا ، ولكنها داست على أذنابها عابرة الى مآربها (ومآربها فحسب) لاتلوى على شيء ، ولا ترجو لكم وقارا .

ان الله اختار للعـرب والمسلمين خير بقاع الأرض ، وأسكنهم فيها ، وأغناهم بكل مقومات الحياة ، وجعل خيرات الأرض كلها تجبى اليهم سهلة غزيرة ، فأغنانا عما سوانا ، وأفقر ماسوانا الينا ، فما بال الغنى الكريم يمد يده مستجديا ومابال الصعلوك المعدم

يتحكم فى خصائصنا ؟ ألا انهم كما قال الله (ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ، ولن تفلحوا اذاً أبدا) (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون — يرضونكم بأفواههم، وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون) .

ولقد مرت على البشرية أجيال وأجيال ، ابتعدت فيها عن ربها وتفرغت ليأكل قويها ضعيفها ، وكان الجزاء العدل من الله لها صارما، وها نحن لم نر للدول أى استقرار لما تزلزل من بنائها ، ولا أية سكينة لما حل بقلوبها من الرعب والفزع ، فهم دائما اما فى حرب أو متوقعون لها — وصدق الله العظيم .

(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ، ان الله لا يخلف الميعاد) ان القيادة بدأت تصفى حسابها من الغرب، وصارت أيديهم ترجف بالأعلام التى يحملونها الى حين قريب ، وقد صحا الشرق ، والآن ينظم لتاجه الدر لتنقل القيادة اليه ، (ويا ويل الظالم يوم يصحو المظلوم) الا أن سنة الله جرت ألا ينزل النصر على الناس من السماء عفوا بلا اجهاد، (ولو يشاء الله لا نتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض — أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم » .

نعم لا مفر من أن ينهض المظلوم فى صدق لاسترداد حقه المغتصب ، وليس الظالم المستبد ، بأبشع عند الله من المظلوم المستكين،

وقد علمنا التاريخ أن الحقوق تؤخذ ولا توهب وأنه لاقيام لباطل الا عند غفلة أهل الحق ، وأنه مادام من الحق بقية ولو ذرة ، فهى (بحول الله) مستطيعة أن تزيل من أمامها جبال الباطل .

لايلدغ المؤمن من جحر مرتين

احذروا السم فى العسل :

هل يعلم المسلمون ، فى مشارق الأرض ومغاربها أن هذا الزعيم المزعوم الذى يقال له « كمال أتاتورك » هو يهودى الأصل ، وصنيعة انجلترا وفرنسا ، سخرتاه ، لهدم الخلافة الاسلامية ، فى مهدها « استانبول » لتفكيك عرا المسلمين الغافلين ، فى العالم الاسلامى ، وتمزيق وحدتهم ، وتقطيعهم الى دويلات ، مبتورة الصلة بدينها ، ونظامها ، ليسهل على الذئاب المتربصة أن تبتلع ماتشاء ؟؟ وقد مدوه بالسلاح والمال ، لينتصر انتصارا زائفا على مناوئيه « اليونان » حتى يحمده شعبه أولا وسائر شعوب المسلمين اللاهين ثانيا ، وليظهر أمام الجميع أنه منقذ تركيا ، والحقيقة أنه هادمها وهادم دينها الأغر ، وخلافتها التى سهر المستعمرون لها طويلا ، حتى تم لهم ماأرادوا — وقد تعاون هذا الحلف الخبيث الماكر من فرنسا وانجلترا وأتاتورك ومن شايعهم ، تعاونوا مع بعض الولاة الخائنين لدينهم بل الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه على أن يقوموا بثورات فى البلاد الاسلامية ، مظهرين كمال تأييدهم لهذا الطاغية الذنب الامعة ، وقد استعمل كل قسوة وتألب على

جميع من ساعدوه من القواد لئلا يفتضح أمره ، بعد أن عمل على زوال الاسلام ، ومحو أثره فى التكتل والاتحاد ، ليلبس على الشباب المؤمن والناشئة أمر دينهم ، وهانحن قد قطفنا ثمرة هذا التهاون المرة ، وتجرعنا غصصها كفرا بالوطنية،بعد التنكر لعقائدنا ومثلنا العليا — وخطوتهم المنتظرة أنهم الآن يسعون سرا وجهرا بكل مايملكون من وسائل الوصول لمآربهم التى جربوها معنا — ليحققوا تدويل القدس ، وذلك لتسيطر الأمم المتحدة على جوف العرب وقلب الاسلام باسم الصليبية الاستعمارية ، التى تطل كل حين برأسها لتنتهز فرصتها ، واذا تم ذلك ، وضاعت القدس بعد استانبول فقل على الاسلام العفاء ، وعلى جميع المسلمين الدمار والفناء » وهاهم دعاة محو العربية المأجورون يمهدون لذلك ظنا منهم أن رجال الحكم غافلون عن مقاصدهم،كلا،بل هم يمدون لهم ليتبينوا نياتهم وسوف يأخذونهم أخذ عزيز مقتدر .

وقد لدغنا من الجحور مرارا ، فأين منا الايمان الذى يحذر من اللدغة الثانية .

وأرجو ألا يرد سفيه ، بالقول المعاد الممجوج (ان للدين ربا يحميه) فقد كررنا القول بأن الله لن يتنزل على الكسالى جندا من السماء تحارب عنهم وهم نائمون ، وماأنزل مدده من الملائكة يوم بدر الا على مؤمنين عاملين ، والله تعالى يقول (لقد رضى الله عن المؤمنين ، اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . . وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وليس بعد هذا بيان للمتماوتين الذين يزعمون أن السماء ستمطر

عليهم مالا ، أو تمنحهم نصرا ، وهم فى الجبن والعجز غارقون ﴾ (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وان هذه الحركة القوية ، والثورة المصرية الفنية التى بدأت من مصر ودوّت فى أرجاء العالم كله ، لهى بشير الفوز الأكبر للدين وأهله ، وصاعقة التدمير بقوى الشر وذويه أينما كانوا (والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون) .

ماذا فعلت تركيا بالاسلام (١)

فى شهر مارس سنة ١٩٢٤ ، ألغيت الخلافة ، وكان معنى ذلك أن تركيا تنازلت عن قيادة العالم الاسلامى لكى تتجه نحو الغرب وفى السنة نفسها ألغيت وزارة الأوقاف والقوانين الشرعية والمحاكم الدينية . واذا كانت الشريعة هى مركز الحضارة الاسلامية فان هذا المركز قد أزيل الى الأبد ، وقد أقفلت مدارس الدين ، وسلمت الى ادارة المعارف ، وفى سنة ١٩٢٥ ، ألغى الطربوش ، وقد كان خلع الطربوش ولبس القبعة اشارة الى ترك الدين ، وأقيم أول تمثال لأتاتورك سنة ١٩٢٦ ، وقد كان منع التماثيل جزءا من عقائد القوم النافذة ، وفى سنة ١٩٢٨ حور الدستور لكى تحذف منه الاشارة الى أن الاسلام دين الدولة ، وفى السنة التالية لها ألغى تعليم الدين فى المدارس ، وفى عام ١٩٣٣ ، ألغى قسم الدين فى الجامعة ، وفى عام ١٩٣٤ منع لباس رجال الدين ، ، وفى عام ١٩٣٧ عملوا على ازالة أثر المساجد فى التثقيف الدينى والاجتماعى ، وحولوا المدارس التابعة لها الى مراكز لتوزيع الحليب ، وأندية للرياضة ، وغرف للنوم . . فليتدبر أولوا الألباب .

(١) عن كتاب (الاسلام فى نظر الغرب) ص٨٣ نشر دار بيروت للطباعة عام ١٩٥٣ .

تعصب الحكومات المسيحية
ضد الاسلام

وشهد شاهد من أهلها

ومما يثبت قولنا ان هناك اتفاقا دوليا للقضاء على الاسلام ، ووضع العراقيل فى سبيل نهوض شعوبه ، ونصر الدول الأجنبية عليها تلك الشهادة الصادرة من مسيحى له منزلته وخبرته واحاطته بما يدور فى الخفاء ومن وراء الستار ، وقد نشر هذا الاقرار بجريدة الأخبار العدد ١٠٦٦ تاريخ ٢٩/١١/١٩٥٥ بعنوان — أستاذ كندى مسيحى —

لاينكر تعصب « الدول المسيحية » ضد الاسلام — بقلم الأستاذ محمد التابعى — قال :

كتبت فى شهر سبتمبر الماضى فى يوميات الأخبار مقالا عن التعصب الدينى ، تعصب الدول الكبرى المسيحية ضد الاسلام والمسلمين ، وتساءلت فى صدر المقال ، هل كانت حكومات الدول الكبري — وهى مسيحية — مثل أمريكا وبريطانيا ودول أمريكا الجنوبية ودول أوروبا هل كانت تسكت على الدماء التى تراق فى شمال افريقيا لو أن أهل الجزائر ومراكش كانوا مسيحيين ولم يكونوا مسلمين ؟ . . أو لو أن فرنسا كانت دولة اسلامية ، وكان سكان شمال افريقيا من المسيحيين ؟ ثم قارنت بين موقف حكومات

الدول المسيحية اليوم من هـذه الأحداث التى تجرى فى شمال أفريقيا وهو موقف عدم مبالاة أو موقف حياد، وموقفها من الفظائع التى ارتكبتها حكومات سلاطين تركيا الاسلامية ضد الأرمن المسيحيين وكيف ثارت يومئذ ضد تركيا المسلمة واحتجت وهددت وتوعدت ووقفت الى جانب الأرمن المسيحيين ، وكانت هذه خلاصة المقال — وبعد أن أوضح الأستاذ التابعى أنه لا يتهم بهذا التعصب الأفراد المسيحيين بل الحكومات المسيحية أو التى تدعى أنها مسيحية — قال — وتلقيت أخيرا هذا الخطاب من السيد الأستاذ أحمد حسين الصاوى المدرس بكليـة الآداب بجامعة القـاهرة : — نشرت فى يومياتك الأخبار فى يوم ١٦ سبتمبر الماضى مقالا رائعا عن التعصب الدينى ولما كان الموضوع هاما وخطيرا ، وكان ما أثبتّه فى مقالك يمثل الحقيقة المؤلمة التى لم يجرؤ الكثيرون من الكتاب على التعرض لها، فقد أرسلت هذا المقال الى الأستاذ الدكتور «ولفرد كانتول سميث» مدير معهد الدراسات الاســلامية بجامعة ماكجيـل بكندا الذى حصلت منه على درجة الماجستير ، ليبدى رأيه فيـه باعتباره من أنشط المشتغلين بالدراسات الاسلامية فى العالم الغربى وأشدهم اخلاصا وفهما لمشاكل العالم الاسلامى ، واقترحت عليه أن يرد على المقال كتابة حتى أبعث به اليـكم لنشره فى الأخبار ، وقد أرسل الى سيادته اليوم رده الذى أرفق به بعض نشرات معهده ، وها أنذا بدورى أرسل اليكم برده راجيا نشره والتعليق عليه .

وهاهو ذا رد الأستاذ الدكتور ولفرد ك . سميث .. وقد كتبه على ورق يحمل شـعار الجامعـة وعنوانها — جامعة ماكجيل —

مونتريال ـــ معهد الدراسات الاسلامية ـــ ٣٥٢٠ ـــ شارع الجامعة ـــ وقد حرصت على ترجمة الرد ترجمة حرفية على قدر الامكان حتى ولو على حساب الأسلوب ـــ ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٥ ـــ

سيدى العزيز ، تفضل أحد المصريين المتخرجين من هذا المعهد وأرسل الى قصاصة من عدد جريدتكم الصادر بتاريخ ١٦ سبتمبر الماضى وهى تحوى مقالا عنوانه (التعصب الدينى) منشورا بقسم اليوميات ، ويقرر كاتب المقال مستر محمد التابعى أن أحجام الدول الغربية عن زجر فرنسا بسبب سياستها فى المغرب ، انما سببه أن فرنسا دولة مسيحية بينما ضحاياها من المسلمين ، هذا بينما وقف الغرب موقفا عدائيا مريرا ضد تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى من جراء المشكلة الأرمنية لأن تركيا كانت مسلمة بينما كان ضحاياها الأرمن من المسيحيين ، ومن ثم فهو يخرج بهذه النتيجة ، وهى أن الخلافات الدينية لاتزال لها الكلمة العليا ، ثم يبدو منه أنه يشير الى أن العداء الدينى بين المسيحية والاسلام أمر لا مفر منه ـــ وان الحقائق التى أوردها كاتب المقال لايمكن الزعم بأنها على غير أساس ، ولكننى أظن أن من الممكن الخروج منها بنتائج مختلفة ـــ صحيح أن أبناء الدولة الغربية قد انتموا منذ قرون عديدة كثيرة الى أخوة دينية ، وصحيح أنه بالرغم من الخلافات التى شجرت بينهم قد احتفظوا بسبب هذه الأخوة فى الدين بنوع من الصداقة وروح التضامن الجماعى بين بعضهم البعض ـــ ولهذا السبب فان الحركة المطردة النمو والتى تتهم فرنسا بسبب سياستها الحالية وتؤيد بحرارة العرب ، هذه الحركة تجد مشقة كبيرة فى النهوض بمهمتها.

مشقة ماكانت لتوجد لولا ماأسلفت من أسباب اذ أن على هــذه الحركة أن تعمل وتتغلب على تقاليد موروثة منــذ قرون عديدة ومع ذلك فان هذه الحركة موجودة وقوية وهى تزداد قوةــولقد يُهِم كاتب المقال (يقصد محمد التابعى) أن يطلع على بعض المقالات الافتتاحية التى نشرت فى صحف مونتريال حول هذا الموضوع خلال الشهور القليلة الأخيرة ــ والذين منا هنا فى المغرب يجاهدون بصدق واخلاص للوصول الى علاقات أفضل ، وتفاهم أفضل بين الغرب والعالم الاسلامى ، ويرون أنه لا يزال أمامهم طريق طويل عليهم أن يقطعوه وعقبات كثيرة لا بد من تذليلها قبل أن يحققوا ما يجاهدون فى الوصول اليه . . ومما لا جدال فيه أن كاتب المقال (اليوميات) قد أصاب الحقيقة فى قوله ان هناك ميولا وأهواء وأغراضا كثيرة موروثة وهى فى طريقها الى الزوال ولكن ببطء الا أن ذلك لا يثبط من عزيمتنا ، بل الواقع أننــا لا نجد ما يدعو الى اليأس مادام كل عام يمــر يزيد فى حركتنــا قوة ونجاحا . . وماكان فى أول الأمر عداء مريرا ثم أصبح عدم مبالاة قد أخذ يتطور ببطء الى محاولة مخلصة فى سبيل الادراك وبناء الصداقة ــ ولقد هزمت فرنسا أخيرا فى اجتماع الأمم المتحدة . . وكانت هذه الهزيمة ذاتها نصرا لقوات الحرية وهذا النصر ليس كاملا لأن عرب شمال افريقيا لم يحصلوا بعــد على اســتقلالهم ولا يزال عليهم أن يكافحوا ويجاهدوا ولكننى أقول مع ذلك ان شيئا من التقدم البطىء قد تم ، وأظن أن مستر محمد التابعى سوف يدهش لو عرف كم للعرب من أصدقاء كثيرين فى العالم الجديد ــ حتى ولو لم يكن هؤلاء

الأصدقاء من الكثرة أو القوة بحيث يمكنهم التغلب على الفريق الآخر أي فريق المتعصبين ضد العرب المسلمين — وخلاصة القول، اننى أعتقد أنه لاينبغى لكل من عالم الاسلام وعالم الغرب أن ينكرا وجود الخلافات الدينية أو ينكرا هذه الحقيقة وهى أن الخلافات الدينية أمر خطير وهام فليس من السهل أن نشيد مجتمعا عبر حدود دينية ، ولقد كان المسلمون والمسيحيون فى الماضى جماعات مغلقة كل منها مغلقة على نفسها ، ولكن ليس معنى هذا أن تزيد كل جماعة فى أحكام اغلاق الباب على نفسها والوقوف موقف العداء من الجماعة الأخرى وهو مايقترحه مستر محمد التابعى كما يبدو لى هكذا ؟ وانما الواجب أن يعمل المخلصون من الفريقين على توحيد القوة من أجل التغلب على الصعاب وبناء جسر تفاهم فوق الهاوية التى فرقت بيننا فى الماضى .

المخلص لكم
ولفرد كنتول سميث
مدير المعهد

هذا هو رد العالم الكندى المسيحى — وتعليقى عليه كما طلب منى الأستاذ الفاضل أحمد حسين الصاوى أنه أيدنى فى كل ماقلته عن الدول المسيحية وتعصبها الموروث . . وليس أدل على هذا من قوله واعترافه بأنه يدرك هو والعاملون معه على تحسين العلاقات بين المسلمين والغرب انه لايزال أمامه طريق طويل وعقبات كثيرة .. الى آخره . قبل أن يتغلبوا على الفريق المناهض المتعصب ضد العرب المسلمين — ثم تعليق أخير وهو أننى لم أقل ولم أوص ولم أقترح فى (يوميات ١٦ سبتمبر أو فى أى مقال آخر بأن تزيد

كل جماعة فى أحكام اغلاق البـــاب على نفسها والوقوف موقف العداء من الجماعة الأخرى (. . ولست أدرى من أين جاء الأستاذ الكندى بهذا المعنى وأين عثر عليه فى مقالى المذكور ؟ وعلى كل حال فأنا أقبل رد الأستاذ الكندى المسيحى كما هو . . وأقبل أن يكون حكما فيصلا بينى وبين السادة الذين اتهمونى بالتجنى أو بالتعصب أو بما شاء لهم أدبهم أو فهمهم أن يقولوه ـــ والحمد لله أولا وأخيرا على أننى وجدت كنديا » لاينكر ماأنكره على السيد (العربى) سكرتير الاتحاد العربى العام .

امضاء
محمد التابعى

«أقول» واذا كان هذا هو مااستطاع أستاذ مسيحى ببلاد مسيحية، أن يبديه رغم ظروف بيئته ومعتقده وسـيف الجبروت المسلط على أمثاله ، فكيف تكون الحقيقة الواقعة ؟ انه ليس ظنا من الظنون ولا افكا افتريناه ، يوم أن قلنا ان هناك اتفاقا على محو كل ماهو اسلامى ، ليقينهم أن الاسلام هو الحائل المنيع بينهم وبين مايرمون اليه من السيطرة التامة على هذه المناطق الاسلامية المنعمة بخيرات الأرض ـــ ألا ، انها صيحة من قلب مخلص لوطنه ولدينه ، صيحة لجميع الحكومات الاسلامية والشعوب الاسلامية ، ومن يهمه أمر الاسلام كَملَّة ، ارتضاها الله لعباده دينا أن يأخذوا حذرهم ، ويشدوا من عزمهم ويفتحوا عيونهم جيـــدا على من يريدون بهم وبدينهم سوءا ، حتى لاتتــكرر المأساة ، وانه لاقيام لباطل الا فى غفلة أهـــل الحق ـــ وليكتب كل منـــا على صـــفحات قلبه « أين الأندلس الاســـلامية ، وأين المغرب الاســـلامى ، وأين فلســـطين

الاســـلامية ، أين كل ذلك منا ، وأين نحن منـــه ؟ ؟ واذا كانت الصهيونية الخـــاطفة الآثمة تمنى بنيها بالوطن الموعود من الفرات الى النيـــل ، أفلا يجوز لدولة الحق وشرعة العـــدل أن تدافع عن معتقداتها المقدسة وأرضها المهددة ؟ « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فســـوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبـــونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى ســـبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

أمريكا هى أصل الداء
مقر مالية ودفاع وخارجية اسرائيل فى « أمريكا »

نشرت صحيفة الأهرام فى٣/١٢/١٩٥٥ فى ص٧مايلى : « كانت مجلة « بارى ماتش » الفرنسية قد نشرت فى أحد أعدادها مقالا جاء فيه ، أن المقر الحقيقى لوزارة المالية الاسرائيلية يقع فىوشنطن وليس فى تل أبيب ، وقالت الصحيفة ان ٨٠٪ من ميزانية هـــذه الدولة تحصـــل عليها من الولايات المتحدة ـــ وقد علقت صحيفة فلسطين الأردنية على هذه الحقيقة السافرة فقالت : ليت هذهالمجلة ذكرت الحقيقـــة كاملة ، ليتهـــا قالت ان وزارة الدفاع اليهـــودية أسست لها فرعا فى اسرائيل ، لأن قيادتهـــا تقع أيضا فى الخارج ، وكذلك وزارة خارجيتها ، بل ورياسة الوزارة فيها ، واننا نحن العرب لانحارب الا فروعا ، أما الأصول فهى فى الخارج ، والخطر يأتى من هذه الأصول ، والأصـــل تتبعه الفروع اهـ فهـــل أدرك المسلمون قاطبة والعرب من يواجهون ، وأمام من يقفون ؟؟ لعلهم يفهمون ، ليعدوا أنفسهم وأيديهم لهذا الخطر المتكتل ضدهم .

تحـــــذير

«هذا بلاغ» للأمم الاسلامية ولينذروا به

١ ـ مجد ضائع ، هل يعود ؟

أيتها الأمم الاسلامية ، حكومات ، وشعوبا ، أفرادا ،وطوائف، وهيئات :

ياسلالة النفوس الطاهرة ، وفرع الأصول الزاهرة ، وأشبال الألى سادوا الدنيا وعمروها،بالايمان الرصين ، والعمل المتين،والخلق القويم :

ياخير أمة أخرجت للناس (تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) ياأمة ، جعلكم الله وسطا (لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) نعم : فأنتم الأمة الوسط « الفضلى » فى كل نواحى الحياة ، وبين سائر أم الأرض ، كتب الله لكم « الوسط » فى مكان حلولكم ، فها أنتم تحتلون سرة الدنيا ، ومركز الدائرة من أقطارها ، بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، مكنكم القدر من أن تشرفوا على الأمم جميعا ، بل وتتحكمون فيهم (لو شئتم) جميعا . فخيراتكم تمنح لأهل الأرض قاطبة ، وعن طريقكم تعبر ثمار الطبيعة ، وثمار الانسان من هنا الى هناك ، وكما كنتم وسطا فى (المكان) كنتم كذلك أمة وسطا فى (الزمان) [١] تنهى عهد الطفولة البشرية من قبلها ، وتحرس الرشد

---

(١) ظلال القرآن ج ٢ص ٩ .

العقلى من بعدها ، وتقف فى الوسط تنفض عن البشرية ماعلق بها من أوهام وخرافات ، من عهد طفولتهـا الأولى ، وتصـدها عن الفتنة بالعقـل والهوى ، وتزاوج بين تراثهـا الروحى من عهـد الرسالات ، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء ، وتسير بهـا على الصراط بين الهدى والضلال . وسطا فى (العقيدة) لاتغلوفىالتجرد الروحى ، ولا فى الارتكاس المادى ، ولـكنها تتبع هدى الفطرة الممثلة فى الروح والجسد ، تعطى لكل منهما حقه ، وتعمل لترقية الحياة ، مع امتداد الحياة ، . . أمة وسطا فى (التفكير) لاتجمد على ماعندها ، وتغلق منافذ التجربة والاستنارة ، وتقول(اناوجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتـدون) ولا تتبع كذلك كل ناعق ، وتقلد تقليد القردة المضحك ، انما نستمسك بما لديها من من مناهج وأصول ، ثم تتطلع الى نتاج الفكر والتجريب،وشعارها الدائم (الخقيقة شعار المؤمن ، أنى وجدها أخذها . أمة وسطا فى « التنظيم » لاتدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر،ولاتدعها كذلك للتشريع والتنفيذ) بل ترفع الضمائر بالتوجيه ، وتـكفل النظام بالتأديب ، فتجمع بين وحى الوجدان ، وسوط السلطان . أمة وسطا فى (التنسيق) لاتلغى شخصية الفرد ومقوماته ، ولاتدعه شخصا أنانيا لاهم له الا نفسه ، بل تضع من التكاليف مايجعل الفردخادما للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد فى تناسق وانسجام .

وأمة هذه صفاتها هى خير أمة وأوسطها ، وهى خليقة بأن تكون

(١) أى طريقة ودين .

شهيدة على الناس ، تسجل عليهم مناهجهم ، وتكشف لهم عما فيها من انحراف ، وتبرز لهم منهج الحق ، وتهديهم الى الصراط السوى — ويكون الرسول عليها شهيدا يبين لها طريق الحق والهدى ، ويحذرها سبل الغواية ، ويرقب سلوكها وشعورها ، ويحرسها فى سيرها الى ماناطه الله بها فى الأرض من مهام » اهـ

٢ ـ انحراف :

أيتها الأمم الاسلامية الكريمة ، هاهى منزلتكم عندالله:وفى‌هذه الأرض ، وبين النـاس ، فأنتم بمثابة الأوصياء ، على البشرية القاصرة ، وبمثابة المرشدين للانسانية الباغية ، والمفروض فيكم كما فرض الله أن تنصحوا الأمم التى فقدت معين العدل‌والهوى ، وتزجروا الدول التى تبغى فى الأرض‌بغير الحق ، فمابالكم صرتم مأمورين بعد أن كنتم‌آمرين ، ومحكومين ، بعد أن سدتم‌حاكمين، وما بال خيرات بلادكم وثمرات عرقكم ودمائكم ، تذهب‌الى‌ذئاب البشرية ، الذين قعدوا لكم كل مرصد ، ويحرم منها صاحبها ومن أخرجها :

ومن المصـائب والمصائب جمـة قرب الدواء وما اليه سـبيل
كالعيس فى البيداء يقتلهـا الظما والماء فوق ظهـورها محمول

انه لاينقصكم مرفق من مرافق الحياة الطيبة ، ولا عنصرمن‌عناصر المجد والسبق ، فبلادكم أغنى‌بلاد العالم ، ونفوسكم (لو خلصت من علائق الهوى والخيانة وحملت تبعاتها فى أمانة ، وأدت واجبها فى براعة واخلاص أقوى نفـوس واجهت أعباء الدنيـا فما الذى جعلكم فى مؤخرة الركب ، وقد كنتم القادة ؟؟

٣ — قل هو من عند أنفسكم :

سيقول السفهاء من الناس : وما ذنبنا ؟ وقد أجلب علينا شياطين الغرب بخيلهم ورَجِلهم ، وتنازعوا أمرهم بينهم فى كل شىء الاعلى استغلالنا واستئصالنا ، واماتة ديننا ؟ — أقول : نعم انهم أجلبوا علينا بكل وسائل الاستعباد والاذلال ، ولكن لم يُمَكَّن لهم فى بلادنا الا من عند أنفسنا ، نعم أنفسنا الدنيئة التى لم تراع فى دينها ، ولا وطنها ، ولا بنى قومها عهدا ولا ضميرا ، وعلى يد أبناء هذه الأمم أنفسهم الذين استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، والذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، والذين خانوا الأمانة ، وحُمِّلوا رسالة الجهاد فلم يحملوها ، بل فتحوا الأبواب على مصاريعها للدخيل والمستعمر ، بل دعوه واستحثوه السير أن يحضر سريعا ، ليسلموه أرضهم وديارهم ، بل وشرفهم لقمة سائغة ، لا يعوزها جلب خيل أو ركاب أو بذل جهاد — ولو تتبعنا تاريخ انهيار المسلمين فى جميع مراحل العصور ، لما وجدنا هذه القاعدة تخلفت قط (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وان ضياع الأندلس الذى مهد لضياع تركيا والمغرب العربى الأقصى ثم مكن لضياع فلسطين ، لأوضح شاهد على أثر الضمائر الخربة والذمم الثعلبية ، فى اضاعة البلاد والتحكم فى العباد ، وتلك هى سنة الله العادلة الصارمة فى ربط المسببات بأسبابها ، والنتائج بمقدماتها ، وفى الحديث (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة

منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا أو من ذلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال لا — أنتم يومئذ كثير وكثير ، ولـكنكم غثاء [1] كغثاء السيل ، قالوا وماالوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهيةالموت » .

ونحن كذلك ، أحببنا الحياة الزائلة وكرهنا تبعات الجهاد وهو مكتوب علينا ، فجبنا عن مواجهة العدو الغاشم ، فطمع فينا من كان بالأمس يرتعد من سماع اسمنا،فالناس فى ذل من خوف الذل ، ولقد كان مبدأ المسلمين الأولين : هذا الشعار الخالد « احرص على الموت توهب لك الحيـاة » نعم (فـكم أذل الحرص أعناق الرجال)

٤ ــ خذوا حذركم :

ان أوربا وأمريكا ومن يدور فى فلكهما ، بل وسائر دول العسف والالحاد، قد عجزت جميعا عن صد المسلمين عن اسلامهم ، وكم حاولوا صرفهم ، ولكنهم هموا بما لم ينالوا وباءوا بالفشل الذريع وعلموا أن الاسلام أعز من أن ينال منـه أهل الأرض جميعا ولو اجتمع عليه ، (وهل تدر السحاب،نبح الكلاب؟)لذلك فقدتحايلوا على المسلمين من طريق (اللف والدوران) وعلى حين غفلة منهم ، أو تغافل ، فغزوهم من جميع أطراف الاسلام ، وهجموا عليهم من

---

(١) شبههم يومئذ بما يحمله السـيل ويكتسحه فى طريق انحداره من الأعلى للأسفل من القش والزبد وما لانفع فيه ، وما أروعه من تمثيل ، وهكذا يفعل الجبن والخيانة بأهلهما ليكونوا من الأسفلين الفارغين الذين يجعلهم المحتل الغاصب تحت قدميه مطايا لأغراضه فالغنم له والغرم عليهم .

كل شعبة تهدى اليه،أو تعين عليه ، حتى حصروا الاسلام المظلوم فى أضيق نطاق ، ولم يبق منه الارسوم وآثار لا تسمن ولا تغنى من جوع ، لا تحقق للدين انتصارا ، ولا للوطن ازدهارا ، وقد شلت يده عن سائر نواحى الحياة الاقتصادية والسياسية ، والاجتماعية والتعليمية ، صحيح أن العقيدة الاسلامية أعظم من أن تتأثر بمثل هذه التيارات ، ولكن ماذا يفيد جذع النخلة اذا انفصل من جذره وفرعه ، فلا أصل يمده بالغذاء والنماء ،ولا ثمرة فيه تظل أو تشبع ؟؟ ان الاسلام دين الخاصة والعامة ،ودين المبدأ والمعاد ودين العقائد والعبادات ، والسلوك والمعاملات ،ودين الحاكم والمحكوم ، فاذا لم يبق منه الاحركات تؤدى باسم الصلاة وما هى بصلاة ، وفتات يقذف به فى وجه البائسين باسم الصدقة أو الزكاة ، ولم يبق سوى التمتمة بالمسبحة ، والتشدق بالدعاوى الكاذبة ، فما ذاك بالاسلام ولا بالايمان الذى يجعل الله ذويه (خير أمة أخرجت للناس) .

ولن يرضيهم منا شيء الا أن نكفر كما كفروا — قال تعالى : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) لأنهم تيقنوا أنه مادام هذا القرآن غضا طريا بيننا فان بضاعتهم فى كساد،وصيحتهم فى واد ، ونفخهم فى رماد ، فهم يبذلون كل مرتخص وغال لمحو هذا الكتاب ان لم يكن بطريق الازالة فليكن من طريق القاء الشبه والتشكيك ليلبسوا عليهم دينهم ، ويزلزلوا ايمانهم بمقدساتهم ، ومتى زال الايمان من القلوب ، وحل محله الريب والالحاد ، فقد

نالوا مأربهم ، وأصبح السبيل أمامهم للاجهاز سهلا مفروشا بالورود والرياحين .

٥ ـ ان دول الشرك كلها ، مهما اختلفت فيما بينها ، فهى متفقة على أن تقضى على هذا الاسلام ، الذى هو حجر العثرة فى سبيل مطامعهم البشعة ، وهى تدس بين العرب والمسلمين الفتن والأراجيف ليبقوا مقطعين هكذا أشلاء متناثرة لا روح فيها ولا غناء ، فيسهل التهامها ، وهى تحاول الآن تدويل القدس ، ليصبح قلب العرب والمسلمين هدفا لسهام الصليبية الغادرة ويعيد التاريخ سيرته الأولى ، ومادامت الأندلس والمغرب الاسلامى وفلسطين أمام أعيننا ، فلننتبه جيدا ، حتى لا تتكرر المأساة ، الى أن يجمع الله الشمل ويعيد الى العقول رشادها ، فنسترد ماسلب منا وضاع من أرضنا ومجدنا ، ولنضع أمامنا دائما هذه الحكمة من قول على: فاسمعها :

٦ ـ فرق تسد :

(انما مثلى ، ومثل عثمان ، كمثل ثلاثة أثوار كن فى أجمة (غابة) أبيض وأسود وأحمر ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شيء ، لاجتماعهن عليه ، فقال للثور الأسود والأحمر ، لايدل علينا فى غابتنا الا الثور الأبيض ، فان لونه مشهور ، وأما لونى فعلى لونكما ، فلو تركتمانى آكله صفت لنا الغابة ؟؟ فقالا ، دونك فكله ، ففعل ، فلما مضت أيام ، قال للأحمر ، لونى على لونك فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر ، انى آكلك لامحالة ، فقال الثور ، دعنى أناد ثلاثا ،

فقال ، افعل ، فنادى (ألا — انى أكلت يوم أكل الثور الأبيض) ثم قال على ، رضى الله عنه « ألا انى هنت (وفى رواية ، وهنت) يوم قتل عثمان ، يرفع بها صوته [1] .

٧ — فلسطين والأندلس :

وما أحوج المسلمين اليوم الى تدبر هذه الحكمة الغالية التى جاءتنا من خليفة مسلم راشد ، ونقول بدورنا ، ان فلسطين ضاعت يوم ضاعت الأندلس ، ولا تزال دول الاحتلال والاستعمار تنقض على المسلمين لينقصوهم من أطرافهم دولة دولة وليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويستأصلوا عباد الله المؤمنين بأيديهم — ولن تقف مصائبهم عند حد المفرطين منا ، فكلنا أمة متكافلة يصيب مجموعها مايصيب فردها ، قال تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

ان هناك دولا وحكومات اسلامية وعربية تمكن لأعداء الله من بلادها وخيراتها ، وتدخلهم فى خاصة شئونها فلا تتحرك الا بهم ولا تسكن الا باشارتهم ، وشعوب هذه الحكومات ليست فى حل من الله ، اذا لم تحمل حكوماتها حملا على جادة الطريق ، وتطرد الدخيل عليها ، والشعوب دائما هى صاحبة الفصل فى قضاياها ، لاتعتمد على ماسواها .

---

(١) يريد أن يقول أن القدر لو ساعدنى على حراسة عثمان والدفاع عنه مع غيرى من المسلمين حتى نجيناه من الغوغاء السفاكين ، لانكسرت شوكتهم ولم يجرءوا فيما بعدى على انتقاصى أو قتلى ، لأن العدو يهجم خطوة خطوة وكلما انتصر فى ميدان تحمس لآخر ، وان اندحر أولا جبن عن المحاولة مرة أخرى .

اذا الشعب يوما أراد الحيـــا ة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليـــــل أن ينجـلى ولا بد للقيــد أن ينــكسر

٨ ــ انذار من الله للمؤمنين :

(يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أوليــاء ، تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بمــا جاءكم من الحق) .

ومع هذا البيان الواضح من الله ، فلا تزال هناك أقوام ودول (يوادون من حاد الله ورسوله) ويضعون أيديهم فى يد الجلادين ومصاصى الدماء ، ويزعمون أنهم ضعفاء لابد لهم من ظهير يشد أزرهم ، كما قال تعالى فى أمثالهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض (جبن ونفاق والحاد) يسارعون فيهم (أى يبادرون بعقد معاهدات الصداقة والأحلاف مع الدول العدوة رجاء الاحتماء بها (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) يخافون أن يحتاجوا يوما الى معاونتهم أو يفاجئهم شر من الخارج فيجدون المدافع عنهم) فعسى الله أن يأتى بالفتح ، أو أمن من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين) أى لابد من انتصار دولة الحق والاســلام ، وعند ذلك يصبح الجبناء نادمين على أنهم لم يكونوا مع الصادقين . ولعــل اخوتنا فى العروبة والاسلام الذين وقعوا ضحايا الأحلاف الجائرة

أو هم على وشـــك الوقوع أوهم مترددون للآن ، لعلهم جميعـــا يتوبون ، ومع الأبطال الأحرار يسيرون ، ليـــكونوا من الناجين

٩ ــ زبدة .. وأسلحة :

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم،فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

الله أكبر : أرأيت كيف كشف الله عن نيات الـــكفرة الفجرة السوداء ، فهم دائمـــا يتمنون ويعملون ، على أن تتغـــاضى عن دفاعنا الخارجى واعداد جيش قوى يكفل للبلاد هيبتها ويؤدب من يحاول النيل منها ، هذا أمر ، والثانى ــ أنهم يتمنون ويعملون على أن تتغاضى أيضا عن متاعنا ومرافقنا الداخلية انتاجا وتصنيعا واستيرادا وتصديرا ، وذلك ليدوم للبلاد الاسلامية فقرها وعوزها، فتعيش عالة عليهم ، مادة أيديها اليهم ، هذا هو معنى الآية ،ومتى تم الغفلة عن (١) السلاح و (٢) المتاع ، عشنا ضعفاء وفقراء ، فيميلون علينا ميلة واحدة ، ونذوق لباس الجوع والخوف ،جزاءا عدلا من الله (ولا يظلم ربك أحدا) .

ومن هنا : لانعجب اذا علمنا أن أمريكا ضنت علينا بالسلاح تبيعه بالثمن المعتـــاد أو المضاعف ، وأمسكت يدها عن تزويدنا بالعتاد ، فى الوقت الذى تنظر فيه بعين (الاعتبار ؟) الى مطالب اسرائيل من الأسلحة ، وتعـــدها بالتساهل فى الثمن وفى الدفع ، ثم تضحك علينا ببراميل الزبدة والجبن واللبن المجفف ، لعلنا تتلهى ببطوننا عن تقوية جيشنا فتقع الـــكارثة ، وهذه هى قرة

عينهم ومنتهى آمالهم ، ولكن أبى اللهالاأن نعدلهم مااستطعنامن قوة ، ولم تشغلنا مسائل الشراب والطعام ، عن أن نأخذللأمر عدته؛ وعند اللقاء ، سيعلمون (أى الفريقين خير مقـاما وأحسن نديا) و (من هو شر مكانا وأضعف جندا) .

١٠ ـ وميض نار :

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له ضرام

نعم : فانسحب الظلام قد انتشرتمن الغربفىسمائنا،فحجبت عنا شمس الفضائل الاسـلامية ، وروحانية الرسالات الالهيـة ؛ ويوشك أن تسقط من خلالها صواعق التدمير لكل مقوماتنا : ان لم نتدارك الأمر ، وتتيقظ لما يراد بنا وبأوطاننا وباسلامنا . ولقد حاولوا قديما ، وهم الآن يحاولون ؛ ودائماسيحاولون،غمر الشرق المسكين بكل خصائصهم ليذوب فيهم وتنمحى شخصيته المستقلة، ويدور فى دولابهم كحمار الرحى ، وسيجدون من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض العون والمؤازرة كما قال تعالى(وفيكم سماعون لهم واذا كانت النتائج تعلم بمقدماتها ، والزلازل قد تسبق البراكين وقذفها بالحمم والشواظ ، فاننا نحمد الله أن بمصر رجالا ذوى عزم من حديد متيقظين دائما لهذه الزلازل والفتن ، وعالمين تمام العلم مواقع تلك السحب الدكناء ، فهم لذلك بالمرصاد للفتنة وأهلها لا بمصر فحسب بل بسائر بلاد العروبة والاسلام ، وسيجعل الله كيد الماكرين فى نحرهم وسيرد عليهم صواعقهم وشواظهم (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) .

١١ ــ كلمة أخيرة :

ان الاسلام (طبعا) غير من يدعى الانتساب اليه ، ولا يضره فى صفاته أن يتلوث أبناؤه ، انما يضرون أنفسهم ، ولا يضرون الله شيئا ، فالشمس فى السماء بالمحل الأرفع من الناس ، لايغض من قدرها ، الا ينتفع بعض الجاهلين بضوئها وحرارتها ، وانْ تخلف جنود الاسلام عن حمل علم الجهاد ، يستخلف الله قوما غيرهم ، ثم لايكونوا أمثالهم ــ فان بنى اسرائيل حينما جبنوا عن لقاء العدو حرصا على الحياة الذليلة [١] ، ضربهم الله بالنفى والتشريد ، وأبقاهم فى التيه أربعين عاما ــ حتى انقرض منهم الجبناء الأذلون [٢] ، وجاء من بعدهم أعقابهم المجاهدون ، فمنحهم الله ماحرم منه آباءهم من قبل ــ وتلك سنة الله فى كل زمان ومكان ومع كل أمة ودين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

---

(١) ويلاحظ أن الذى يقعد بالأمم عن الجهاد وبلوغ المجد تفرغهم لشهواتهم واعراضهم عن معالى الأمور ، فبنوا اسرائيل مع انزال الله المن والسلوى عليهم قالوا (ياموسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض).. الآية . لأنهم ألفوا حياة الترف فلم يصبروا على مرارة الاختبار ، وهل يمكن لشخص لم يستطع الصمود أمام رغباته وشهواته أن يقف أمام أعدائه فى الميدان . ومن هنا جبنوا عن الجهاد ، لما جبنوا عن الجهاد الأكبر جهاد النفس ، ومن لم ينتصر على نفسه ، فهو على غيرها أعجز .

(٢) ويلاحظ أيضا ماحدث لجيش (طالوت) من التعرض لاختبار الله ، فقد أراهم فى الطريق الى العدو نهرا عذبا وأخبرهم بأن من شرب منه فليس منى ، ومع ذلك فقد عصى الجميع أ مره وشربوا وعبوا ـــ ولم يعزف نفسه الا القليل وهؤلاء هم الذين استطاعوا مع قلتهم أن يهزموا جيش جالوت مع وفرته ـــ ذلك لأنهم انتصروا على شهواتهم ، فانتصروا على أعدائهم ـــ (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) .

صفعة لمحاولى هدم الاسلام

جرفت التيارات الالحادية العالمية الحانقةعلى الاسلاموالمسلمين، بعض الخونة الأذناب المتحللين ، ممن لااستقلال لهم فى رأى ، بل هم متفانون فى حب كل أجنبى ونصره ، ولو كان ذلك على حساب كرامتهم أو دين الله الذى ارتضى لعباده ، فما يلمحون بادرة فى الجو الغربى ضد الاسلام والمسلمين الا ويسرعون هنا ليروجوها ويصنعوا من أنفسهم أبواق دعاية واذاعة لها ، وكان آخر سهمهم الطائش الذى صوبوه للاسلام ، هو محاولة توحيدالتعليمين المدنى والدينى ، على غرار توحيد القضاء ، وذلك لتجرد الأمة من صمام أمنها وايمانها ألا وهو الدين وتنسلخ منه خطوة خطوة ، وحينئذ يمكن لهم ولسادتهم المستعمرين فى بلادالاسلاموفى رقاب المسلمين .

خيبة أمل :

وظنوا أن فى رجال الثورة المصريةمغمزا لهمزاتهم ، ولينا لتحقيق مآربهم ، أو أن الشعب فى غفلة عما يعمل ويدبر الظالمون ، وبينما هم فى نشوة فرحتهم يعمهون ، اذ أتى الله بنيانهم من القواعد ، فدمدم عليهم بذنبهم ، وعكس عليهم آمالهم ، واتضح أن وراء الأكمة أسودا ، وأن خلف الجدر رجالا ، وأن للدين ربا يحمه ، وأمما تفتديه .

الاسلام ركن مصر الأول :

فأعلن السيد ابراهيم الطحاوى السكرتير العام المساعد لهيئة التحرير العليا (أن الاستعمار وخصوم مصر، يريدون تحطيم هذا البلد ، ولن يتم تحطيمه الا بتحطيم أركانه ، والأزهر الشريف هو

الركن الروحى لهذه الأمة،فاذا هدمهدمت روحانية مصر،وهدمت مصر من بعده .

الاسلام هو حصن المجتمع القوى والرجولة الحقة :

قال : واليوم ونحن نريد أن نبنى مجتمعنا قويا كريما فيهرجولة وفيه خلق ، نعلم يقينا أن هذا المجتمع لايقوم الا على أساس روحى متين ، فقد تقيم المادة دولة . . ولكن الروح هى التى تضمن النصر والخلود والمستقبل لمصر بلد الأزهر ، اننا نؤمن بأن الروح باقية ، ولن يقوم بناء المجتمع الا بروحانيته ، وستسود مصر العالم عندما تتمسك بدينها وكتابها ، ويوم يتحطم الأزهر تتحطم مصر،ويتحطم الاسلام .

المعركة الرهيبة بين الايمان والالحاد :

ثم قال:انمصر لاتعرف فى البلاد الاسلامية ، بل فى العالم كله الا بالأزهر ، ويجب على الأزهر أن يعد نفسه لمعركة رهيبة ، وأن يسعى بنفسه ، لحماية نفسه وبلده ودينه ، ويجب على أبنائهجميعا (علماء وطـلابا) أن يتـكتلوا حتى يستطيعوا أن يؤدوا رسالة الاسلام ورسالة الوطنية فى جميع البلاد .

دور الأزهر فى الماضى والمستقبل :

وقال : ان الأزهرسيستمر لأداء رسالته وسيقضى على كل دعوة مجنونة تريد أن تنال منه والاسلام ، وأن العالم كله يخشى قيام الأمة العربيـة والأزهر هو الذى أقامها فى المـاضي وسيقيمها فى المستقبل .

أيكرم الدين هناك ، ويضيع هنا ؟؟ :

ووجه السيد أحمد طعيمة المراقب العـام للاتحادات والنقابات صفعة أخري لمحاولى هدم الإسلام فقال :

ان الأزهر هو أول معهد قام على خدمة الشريعة الاسـلامية ، ولست أدرى كيف يراد توحيد التعلمين الدينى والمدنى فى تعليم واحـد ، والغـاء التعليم الدينى الذى يتخصص لخدمة الشريعة الاسلامية ، فى الوقت الذى تحرص فيـه أرقى الدول على تقوية التعليم الدينى بها ، فان أكثر الدول تنفق على التعليم الدينى أضعافا مضـاعفة ، تزيد على ماتنفقـه على التعليم المدنى ، بل ان التعليم المدنى فى (أمريكا) مثلا يقع فى مسئولية الأفراد . . أما التعليم الدينى فتتولاه الدولة وتنفق عليه أعظم امكانياتها .

الغرض من محاولة الغاء التعليم الدينى معلوم :

قال : وانى لأعجب من أولئك الذين يطالبون بانهـاء حصن الدين فى مصر بل الشرق كله . ان المعركة واضـحة : يراد بهـا القضـاء على التعليم الدينى وعلى الأزهر الشريف ، ذلك المركز الذى يشع نور التوحيد والهداية للناس جميعا فى مصر وفى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى يخلو الجو للدعوات المنحرفة الأخرى ، كيف يريدون أن يهدموا هذه الـكعبة التى ظلت تربط مصر بجميع مشارق الأرض والعالم أجمع :

حراس الدين :

قال : اننا لن نسلم بهذا الحصن المنيع ، لأن التسليم به تسليم بحياتنا ومصريتنا وقوميتنا وقومية العرب والمسلمين ، وانى كرجل من رجال التحرير أومن أن الدعامة الأولى فى هذا البلد هى دعامة

الدين (الله أكبر) وأن سدنة الدين هم رجال الأزهر ، وختم تلك التصريحات المخزية للملحدين السيد حسين عبد القادر بقوله : يجب أن تصان حرمات الأزهر من كل عبث يراد بها ومن كل دعوة طائشة فالتاريخ يشهد للأزهر أنه كان الجامعة العربية قبل انشاء الجامعة العربية وقد أدى رسالته ولايزال يؤديها ، وان مصر العربية التى تعتـــد بعروبتهـــا لايمكن أن تفرط فى الأزهر كمركز عربى اسلامى ينهض برسالة جميع العرب والمسلمين حول هدف واحد ، يجب أن يبقى الأزهر . . وسيبقى الأزهر مابقيت مصر ، ومابقيت وطنية ، وما بقيت عروبة ، وما بقى الاسلام .

الأهرام فى ١٣ ــ١٢ ــ ١٩٥٥ العدد ٢٥٢١٣

الله أكبر

كأن هؤلاء الأبطال الثلاثة السادة(الطحاوى ، وطعيمة ، وذو الفقار) ينظرون بعين بصيرتهم النفاذة الى ماضى التاريخ البعيد وحاضره الماثل ليستخلصوا عبرة المستقبل ويبصروا المسلمين بما يراد لهم من حيلولة بينهم وبين اسلامهم الحنيف بمحو أزهرهم التليد المجيد ـ وكأنهم بهذه الصيحة الجريئة المؤمنة يعيدون الى أذهان المسلمين ماكان يصنعه المبشرون ولا يزالون يصنعونه بيد أذنابهم المجرمين ، حتى قال رائدهم «المسيو شاتليه » رئيس تحرير مجلةالعالمالاسلامى : فى موضوع السياسة الاسلامية [1] « ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية (يعنى التأثير على عقول أبناء الشرق وقلوبهم) ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتبثت من فائدته ... وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث فى دين الاسلامالتعاليم المستمدة من المدرسةالجامعة الفرنساوية.. ان التعاليم التى تنشرها وتبثها «كلية القديس يوسف اليسوعية»فى بيروت كان لها الحظ الأوفر فى انتشار الأفكار الفرنساوية فى سوريا والقطر المصرى .. ان ارساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى

(١) مقدمة المسيو شاتليه عن ارساليات التبشير ص ٩ من كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » سنة ١٣٥٠ ـ المطبعة السلفية .

البلاد الاسلامية من حيث أنها تبث الأفكار الأوربية . . ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين ، مزية تشييد ، ومزية هدم أو بالحرى مزيتى تحليل وتركيب ، والأمر الذى لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا ينبغى لنا أن نعتمد على احصائيات التعميد فى معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية فى طرف خفى ولن يتم لارساليات التبشير أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها الا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الانكليزية والألمانية والهولاندية والفرنسية يتحكك الاسلام بصحف أوربا وتتمهد السبل لتقدم اسلامى مادى وتقضى ارساليات التبشير لباتتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلتها وانفرادها .. وان التقسيم السياسى الذى طرأ على الاسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية ، اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية ، وسوف لايمضى غير زمن قصير حتى يكون الاسلام فى حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية » ، ثم قال فى صفحة ٢١ من نفس الكتاب « قال المستر « بلس » ان الدين الاسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم التبشير بالنصرانية فى أفريقية ، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ، وليس لنا خصم

معارض سوى «الشيخ» الذى يبشر بالاسلام فى كل مكان « الله أكبر » هنا مربط الفرس ، وفصل الخطاب : الشيخ ، وما أدراك ماالشيخ ؟؟ هو العقبة الكئود فى وجه هؤلاء المستعمرين وأذنابهم الملحدين ، نعم هو الشيخ لأنه هو الاسلام المتحرك الداعى الى الله الذاب عن دين الله ، وهو القرآن المتنقل الصارخ بالتبشير والانذار الداعى الى مكارم الأخلاق والى التحرر من كل محتل وغاصب فهذا هو السبب فى حقدهم «قديما وحديثا» على الدين الاسلامى وأهله فى شخص الأزهر وأهله ، فلله در رجال الثورة اليقظون لماضى هؤلاء الأنجاس وحاضرهم فهم لهم بالمرصاد ، والله من ورائهم محيط فالانتباه ، الانتباه ، واليقظة اليقظة ، وكل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين الاسلام من قبله » .

فهرس « الايمـــان والمؤمنون »

أيها المسلمون .. خذوا حذركم

الاسلام سد منيع فى وجه المستعمرين ، وقد عملوا قديما ويعملون الآن على الحيلولة بينه وبين أهله شعوبا ودولا ، لتزول منهم مناعة الدفاع ، وتبقى مناطقهم العامرة بالخيرات كلأ مباحا لجشعهم الخبيث ، وسابقا قد نجح هذا السرطان فى نحو دول اسلامية عريقة ، كان لها شأن فى تاريخ الاسلام وهم الآن يحاولون تجاربهم فى ميادين أخرى ، اتخذوا لها العملاء والأذناب ، والوكلاء والمراسلين ولن يستقر لهم قدم أو يهدأ لهم بال ما دام فى الاسلام عرق ينبض ، وقد أعلن رجال الثورة أن شريعة السماء تواجه اليوم خطرا شديدا على الأرض ، وأن تيارات الالحاد والمادية القتالة تريد أن تجرف البشرية .

وبلفتة الى الأندلس وتركيا ، والمغرب العربى وفلسطين المراد تدويل قدسها (لتصبح صليبية تغير على ما حولها من العروبة والاسلام بحجة انضوائها تحت لواء الأمم المزعوم اتحادها) ، ندرك ما أريد ويراد لهذا الدين العزيز كقلعة شماء مستعصية على المطامع المستعرة ، فلننهض شعوبا وحكومات متكتلين لاسترداد ما فقدنا وصون ما معنا ، حتى لا [illegible] المأساة ونحن غافلون ...



الثمن ٥ قروش